عقيد أركان حرب
مصطفى أحمد كمال

أفغانستان

بين الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

الإهــداء

إلى المجاهد الأفغانى أتقدم بهذا الجهد المتواضع
الذى لايعادل مقدار ذَرَّة مما قدَّم أو ضحى .

« المؤلف »

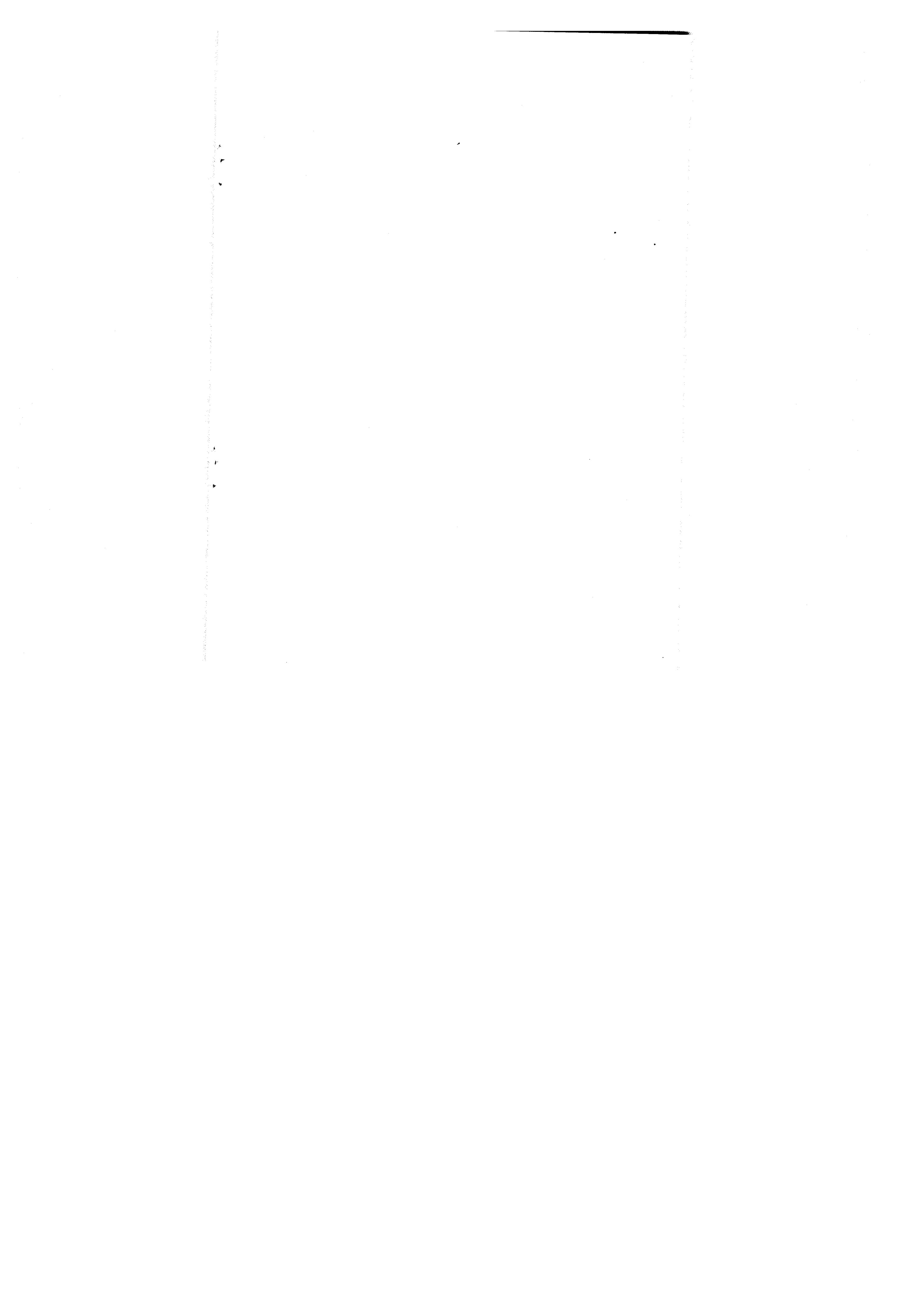
*   *   *

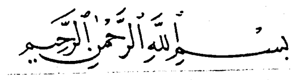
شـــكر

يتوجه المؤلف بالشكر العميق إلى السيد / محمد مصطفى أنور رشوان على ما قدّمه من مجهود ومساعدات عظيمة خلال فترة إعداد هذا الكتاب .

« المؤلف »

* * *





مقدمة

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين .

وبعد ..

والعالم الإسلامى والعربى يعيش فى ذكرى مرور عام على حرب الخليج المشئومة ، وفى وسط حالة اليأس والتشاؤم الناجمة عن تساؤلات حائرة عما حدث ويحدث ويحيط ويحاق بالعالم الإسلامى والعربى ، تأتى أنباء دخول المجاهدون الأفغان لكابول عاصمة أفغانستان ونجاحهم فى إسقاط نظام « نجيب الله » العميل هناك بعد قتال شرس دام نحو أربعة عشر عاماً تمكن خلاله المجاهدون من طرد القوات السوفييتية وإجبارها على الانسحاب المهين ووضع المسمار الأخير فى نعش الشيوعية العالمية .

إن التدبر والتمعن فى الانتصار الأفغانى العظيم - وفى هذا التوقيت بالذات - هو المدخل الرئيسى لإزالة كافة مشاعر الإحباط واليأس التى تسيطر على العالم الإسلامى والعربى ، كما أن الدراسة العلمية فى إطار تعليمات الدين الإسلامى الحنيف هى المخرج الحقيقى إلى الطريق الصحيح لتطبيق فريضة الجهاد فى سبيل الله وهى الفريضة التى طبّقها السّلف الصالح ونفذها المجاهدون الأفغان ، فكتب الله النصر لهم رغم أن عدوهم كان يتمتع بالتفوق النوعى والكمى ، وصدق الله العظيم إذ يقول فى كتابه الكريم : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾ (١) .

---

(١) الحج : ٤٠ .

إن هذا الانتصار الأفغانى العظيم قد وضع مسئوليات جسيمة على عاتق القادة فى العالم الإسلامى والعربى ، خصوصاً وأن النصر الذى تم هو آية من آيات الله إلينا حيث لا يكفى الشكر والحمد للمولى عزّ وجلّ ، ولكن ندعوه جلّ وعزّ ألا نكون من عباده الذى ينطبق عليهم قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (١) .

إن الكتاب الموجود بين يديك - عزيزى القارىء - يتناول تعريف موجز بالشعب الأفغانى العظيم وبالكفاح والجهاد الذى خاضه دفاعاً عن عقيدته ودينه فى إطار تناول مبسط وسهل .

والله أسأله أن يتقبل .. والسلام عليكم ورحمة الله .

عقيد أركان حرب

مصطفى أحمد كمال

*   *   *

(١) يوسف : ١٠٥

الفصل الأول

جغرافية أفغانستان

« إن الدين الإسلامى فقط هو مصدر التشريع الوحيد لسن القوانين ، وأنه متى وُجِد نص فى أى قانون يتعارض مع أصول الدين الإسلامى فإن هذا النص يعتبر ملغى ولا يجوز العمل به »

(الدستور الأفغانى المعدّل)

١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

* * *

جغرافية أفغانستان

أولاً - عام :

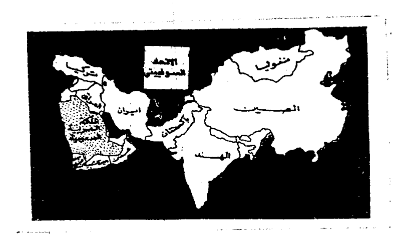
مما لا شك فيه أن للموقع الجغرافى تأثير كبير وفعّال على طبيعة وخصائص الشعب القاطن فوقه ، وفى حالة مثل أفغانستان نجد أن أى دراسة تحاول الاقتراب من الصراع العظيم الذى خاضه الشعب الأفغانى طيلة نحو أربعة عشر عام تقريباً لا بد وأن تتوقف أمام هذا الموقع فى محاولة لاستخراج مجموعة الصفات والخصائص التى جعلت شعباً يحتل مكاناً ضمن أفقر عشرين دولة فى العالم قادراً على التصدى وإلحاق الهزيمة بالقوة الأولى - أو الثانية - فى العالم ، وتحقيق كافة الأهداف التى وضعها نصب عينه بصورة مثيرة وعجيبة سوف يكون لها تأثير كبير على شكل المستقبل السياسى للعالم كله خلال القرن القادم .

* * *

ثانياً - الدراسة الجغرافية :

١ - الموقع الأفغانى :

تقع دولة أفغانستان بين خطى طول ٦١ - ٧٥ وخطى عرض ٢٩ - ٣٨ ، وهى بذلك تكون فى موقع القلب لآسيا الصغرى حيث يحدها شمالاً الاتحاد السوفييتى (سابقاً) ، وجنوباً دولة باكستان ، وشرقاً إقليم كشمير ودولة الصين ، وغرباً دولة إيران . وتبلغ مساحة دولة أفغانستان نحو ٦٥٠ كيلو متر مربع أغلبها أرض ذات طبوغرافية جبلية تمثل الامتداد الطبيعى للهضبة الإيرانية وحيث يصل إرتفاع الجبال داخل أفغانستان إلى نحو ٦٠٠٠ متر تقريباً .



شكل رقم (١) موقع أفغانستان

٢ - طبوغرافية الأرض :

تمثل الأرض الأفغانية الجزء الشمالى الشرقى من الهضبة الإيرانية الكبيرة وتقسم سلسلة جبال هندوكاش مساحة أفغانستان من الشرق إلى الغرب وهى جبال تمتد أكثر من ألف كيلو متر وباتساع ٢٥٠ كيلو متر وإرتفاع بين ٤٠٠٠ - ٥٠٠٠ متر ، وتتصل هذه السلسلة من الشرق بدولة الصين والاتحاد السوفييتى (سابقاً) عبر ممر واخان . أما غرباً فتمر بجبال كوه بابا وبندبفان وپارومسوس وسياه بوين حتى الحدود الإيرانية .

وفى شمال سلسلة هندوكاش الجبلية تتواجد منطقة تركستان الصحراوية والتى تمتد حتى نهر اموداريا . أما جنوب سلسلة هندوكاش فنجد فى الشرق سلسلة جبال سليمان التى تشكل الحدود الأفغانية الباكستانية ، وهى سلسلة جبلية عالية يصل أعلى ارتفاع لها إلى ٤٥٠٠ متر ، ويخترق هذه السلسلة ممر خيبر الشهير الذى يمر به نهر كابول الذى يصل بين مدينة كابول فى أفغانستان ومدينة بيشاور فى باكستان ، ثم نجد فى الوسط إقليم هزرجات وهو إقليم صحراوى يتدرج فى الانخفاض كلما اتجهنا جنوباً وشرقاً ، أما فى الغرب فهو امتداد للسهل الإيرانى .

وإذا انتقلنا إلى مجموعة السهول والأنهار داخل الأراضى الأفغانية نجد أنها تنقسم إلى ثلاث مجموعات هى كالآتى :

* مجموعة نهر السند وأشهرها نهر كابول ورافده تكاو وكونر اللذان ينبعان من سلسلة جبال هندوكاش من ناحية الشمال ، ثم نهر لوغر الذى ينبع من كوه بابا من الجنوب .

* مجموعة نهر هلمند وتشمل نهر هلمند الذى ينبع من مكان قريب من كابول ثم يتجه فى إتجاه الجنوب الغربى ماراً بشرق إقليم هزارجات إلى زمين داود ثم إلى إتجاه غور سيستان ، إضافة إلى مجموعة أخرى من الأنهار مثل أرغنداب وأرجان .

* مجموعة نهر جيحون وتشمل نهر جيحون وروافده الجنوبية التى تنبع من جنوب جبل بابا ويجرى ماراً بهراه ثم إلى سهول تركستان الروسية .

وعلى الرغم من قلة الأمطار التى تسقط على دولة أفغانستان إلا أن هناك مساحات من الغابات تمثل ٢٪ من مساحة الدولة حيث تكسو هذه الغابات ميول ومنحدرات سلسلة جبال هندوكاش وبامير وسليمان . ويغلب على أشجار هذه الغابات شجر السرو والحور والشربين والصنوبر . كما يحيا داخلها أنواع عديدة من الحيوانات من أهمها الدببة والخنازير البرية .

* *

٣ - ومما سبق استعراضه يتضح أن الدولة الأفغانية دولة داخلية لا تطل على أى بحار أو محيطات ، وبالتالى فإن مناخها يعتبر مناخاً قارياً شديد الحرارة فى فصل الصيف . شديد البرودة فى فصل الشتاء . وتختلف درجات الحرارة فى أفغانستان اختلافاً كبيراً خلال اليوم الواحد ولذلك نجد أن الفارق بين النهاية الكبرى والنهاية الصغرى كبيراً ويتراوح بين ١٥ - ٣٠ درجة بمقياس فهرنهيت ومرجع ذلك بالطبع للتغييرات الحادة فى تضاريس الأرض . ويمكن تحديد درجات الحرارة بصورة أكثر إيضاحاً خلال الآتى :

* فى المناطق المرتفعة تكون درجات الحرارة صيفاً معتدلة ، أما فى الشتاء فتكون شديدة البرودة حيث تنخفض درجة الحرارة إلى نحو ٢٠ درجة تحت الصفر .

* فى المناطق المنخفضة تكون درجات الحرارة صيفاً مرتفعة للغاية وتصل إلى نحو ٤٥ درجة . أما فى فصل الشتاء فدرجات الحرارة قريبة من الاعتدال .

وتهب على أفغانستان خلال فصل الصيف رياح موسمية على منطقة جبال سليمان والمناطق المحيطة بها حاملة معها الأمطار ، أما باقى المناطق فتتعرض إلى رياح شمالية شرقية جافة ، وخلال فصل الشتاء تهب رياح غربية حاملة معها الأمطار إضافة إلى تعرض الأجزاء الشمالية للرياح الباردة الناتجة عن تجمد قمم الجبال .

وتعتبر أفغانستان من الدول قليلة الأمطار لذلك فإن الأنهار الدائمة السريان تعتبر قليلة للغاية بالنسبة لمساحة الدولة . والمعدل العام للمطر فى أفغانستان يصل إلى ٢٥٠ مم حيث أعلى معدل فى الشمال الشرقى والشرق ويصل معدله إلى نحو ٣٨٥ مم ، أما أقل معدل فيكون فى الجنوب والجنوب الغربى ويصل إلى نحو ٥٠ مم .

وتعتبر سماء أفغانستان صحوة طوال أيام السنة حيث تقل الأيام الغائمة إلى درجة كبيرة .

* *

٤ - وإذا انتقلنا إلى السكان فى أفغانستان نجد أن عدد السكان يصل تقريباً إلى نحو ١٩ مليون نسمة [١] . حيث يعيش ١٤٪ منهم فى المدن و٧٢٪ فى الريف والقرى و١٤٪ بدو أو أشباه بدو . وينقسم الشعب الأفغانى من الناحية العرقية إلى قسمين هما :

* القسم الأول هندو - أوروبى ويشمل الأجناس الآتية :

- البوشتون : وهم يشكلون نسبة تصل إلى نحو ٦٠٪ من مجموع سكان

---

(١) طبقاً لكتاب الأمم المتحدة السنوى الصادر عام ١٩٧٠ كان تعداد الشعب الأفغانى أقل من ١٢ مليون نسمة وبالتالى فإن هذا التعداد غير دقيق .

أفغانستان ويعيشون فى شمال وجنوب جبال هندوكاش ، وهناك بعض قبائل منهم يعيشون فى باكستان يطلق عليها الباتان .

- التاچيك : وهم يشكلون نسبة تصل إلى نحو ۳۰٪ من مجموع سكان أفغانستان ويعيشون فى شمال إقليم باداخشان حيث ينتشرون فى السهول العليا فى وسط البلاد وغرباً حتى مدينة هراة .

- النوريين : وهم من أصل بوذى واعتنقوا الإسلام مؤخرا وتعدادهم قليل ويعيشون فى الشمال الشرقى من البلاد .

* القسم الثانى تركو - مغولى ويشمل الأجناس الآتية :

- الأزوبك : وهم من أصل تركى ويشكلون نسبة ٥٪ من تعداد سكان أفغانستان ويعيشون بالقرب من تركستان الغربية .

- التركمان : وهم أيضا من أصل تركى وتعدادهم يصل إلى بضعة آلاف ويعيشون جنوب نهر جيحون .

- الهزاوة : وهم من أصل مغولى ويبلغ تعدادهم نحو ٦٠ آلف نسمة ويعيشون فى المرتفعات الوسطى للبلاد .

وبالإضافة إلى التقسيم السابق - هناك قبائل البلوش وهى من أصل عربى ويعيش القليل منها فى جنوب أفغانستان ، أما الأغلبية فهى موجودة فى باكستان .

* *

٥ - ويتحدث الشعب الأفغانى عدة لغات نتيجة لتمسك الأجناس العرقية باللغات التى وفدت بها إلى أفغانستان ، ومع ذلك فإن هناك بعض الظواهر اللافتة للنظر عند تناول هذا الموضوع من أهمها أن اللغات الرئيسية الأفغانية تكتب بالأحرف العربية إضافة إلى أن نسبة الألفاظ العربية فى هذه اللغات

تصل من ٤٠ - ٥٠٪ تقريباً ، واللغات التى يتحدث بها الشعب الأفغانى هى :

* **اللغات الرئيسية وتشمل :**

- لغة البشتو : وهى لغة قبائل البوشتون وتعتبر اللغة الرسمية للبلاد نظراً لأن ٦٠٪ من الشعب يتحدث بها .

- اللغة الفارسية : وهى لغة قبائل التاچيك وتستخدم فى الجهاز الإدارى للدولة وأيضاً فى المعاملات التجارية الرسمية .

* **اللغات المحلية وتشمل :**

- اللغة التركية : وهى لغة قبائل الأوزبك والتركمان .

- لغة الهزارة : وهى لغة قبائل الهزارة .

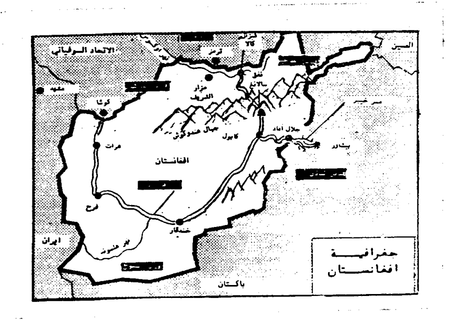
- لغة البلوش : وهى لغة قبائل البلوش .

* *

٦ - ويعتبر الدين الإسلامى هو دين سكان دولة أفغانستان حيث إن أكثر من ٩٩٪ يدينون به ، وقد كان الدستور الأفغانى قبل سيطرة حزب الشعب الديمقراطى على الحكم ينص على أن الدين الإسلامى فقط هو مصدر التشريع الوحيد لسن القوانين ، وأنه متى وُجِد نص فى أى قانون يتعارض مع أصول الدين الإسلامى فإن هذا النص يعتبر ملغى ولا يجوز العمل به .

وفيما عدا قبائل الهزارة الذين يتبعون المذهب الشيعى فإن باقى الشعب الأفغانى على المذهب السنى .

* *



شكل رقم (٢) جغرافية أفغانستان

٧ - وتنقسم أفغانستان من وجهة نظر التقسيم الإدارى إلى خمس مناطق تضم كل منطقة مجموعة من الولايات وذلك طبقاً للآتى :

* المنطقة الشمالية : وتشمل الولايات : بدخشان - تخار - قندوز - سمنجان - بغلان - بلخ - جوزجان - فارياب - بادغيس .

* المنطقة الجنوبية : وتشمل الولايات : بكتيا - غزنى - بكتيكا - زابل قندهار - هلمند .

* المنطقة الشرقية : وتشمل الولايات : ننجرهار - كونر - لغمان - لوجر كابيسا .

* المنطقة الغربية : وتشمل الولايات : هرات - نيمروز - فراه .

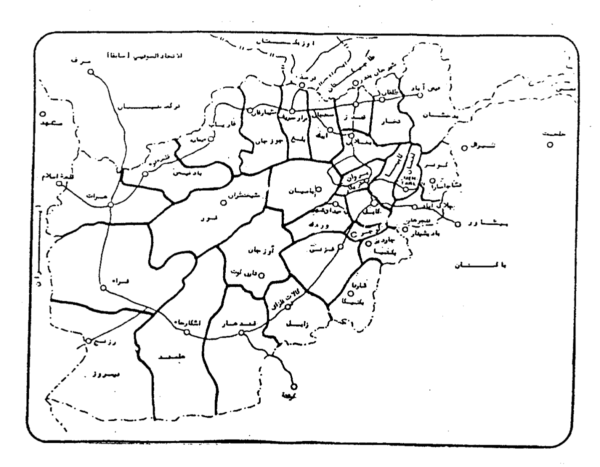
* المنطقة الوسطى : وتشمل الولايات : كابل - بروان - باميان - غوز - وردك - أوزجان .

ومع تعدد الولايات الأفغانية تتعدد المدن والتى تعتبر من أهمها هذه المدن :

* كابول : وهى عاصمة دولة أفغانستان منذ ما يقرب من ٤٥٠ سنة ويصل عدد السكان بها إلى نحو نصف مليون نسمة ، ويقسم نهر كابول المدينة إلى قسمين يعرف القسم الشرقى منهما بكابول القديمة حيث الطرق الضيقة والأزقة المتعرجة والمحلات المتقاربة ، والآخر - وهو القسم الغربى - ويعرف بكابول الحديثة .

* قندهار : وهى مدينة تقع على أحد فروع نهر هلمند بالقرب من الحدود الباكستانية ويصل تعداد سكانها نحو ربع مليون نسمة أغلبهم أفغان من أصل إيرانى ويتواجد بالمدينة جالية هندية كبيرة تعمل بالتجارة .

* هراة : وهى مدينة تقع على نهر هرى رود ويصل عدد سكانها إلى نحو ٣٠٠ ألف نسمة أغلبهم من قبائل الهزارة ذات الأصل المغولى .



شكل رقم (٣) التقسيم الإدارى لأفغانستان

٨ - أما النشاط الاقتصادى الأفغانى فهو يعتمد بالدرجة الأولى على عدة أنشطة أبرزها الآتى :

● **الزراعة** : أهم الأنشطة الاقتصادية التى يعمل بها الشعب الأفغانى حيث تعتبر الزراعة مهنة لنحو ٨٠٪ من الأفراد . وتمثل المناطق الصالحة للزراعة نحو ٢٠٪ من مساحة الدولة (نحو ١٢٣,٠٠٠ كيلو متر مربع) . وأهم المحاصيل الزراعية : القمح - الشعير - الذرة - الأرز - القطن - الزيتون - قصب السكر ، إضافة للفاكهة مثل : العنب - المشمش - الخوخ - الإجاص - الرمان .

* **الرعى** : وهى المهنة الثانية فى أفغانستان حيث تغطى المراعى نحو ٥٪ من مساحة الدولة (نحو ٣٢,٠٠٠ كيلو متر مربع) . ومن أهم الحيوانات التى يهتم بها الأفغان : الخيول - أغنام الكراكول - الأغنام العربية .

* **الصناعة** : وهى من أحدث الأنشطة الاقتصادية التى عرفها المجتمع الأفغانى ، لذلك فهى تعتبر فى أطوارها الأولى . وأهم الصناعات هى : المنسوجات - السجاد - السكر - الصابون - الزيوت - الأسمنت - الزجاج - الكبريت .

* **المواد الأولية** : ويقوم هذا النشاط أساساً على استخراج المواد التى تم اكتشافها فى الأراضى الأفغانية حيث يوجد الذهب فى قندهار والكبريت فى هزاراجات والرصاص فى هندوكاش . كما تم اكتشاف البترول والغاز الطبيعى مؤخراً .

* * *

ثالثاً - التأثير الجغرافى على العمل العسكرى :

١ - من خلال الدراسة الجغرافية السابقة يتضح لنا أن طبيعة المسرح الأفغانى من وجهة النظر العسكرية هى طبيعة جبلية بالدرجة الأولى ، ثم طبيعة صحراوية بالدرجة الثانية بعد ذلك . وكما هو معروف عسكرياً فإن خصائص المسرح الجبلى يكون لها دائماً تأثيرات حادة ومتطرفة على أساليب استخدام

القوات المقاتلة ، وأيضاً أسلوب استخدام الأسلحة والمعدات . ومن المهم هنا أن نذكر عن الأرض الجبلية أنها تعتبر المسرح المناسب والأمثل لتنفيذ ما يعرف بحرب العصابات أو حروب القوات غير المنظمة .

٢ - وإذا انتقلنا إلى طبيعة المسرح الجبلى فإن أبرز النقاط يمكن أن نراها هى :

* أن المسرح الجبلى يحد كثيراً من الاستخدام الأمثل للجيوش الحديثة وبالتالى فإن الجبال التى تمثل الجزء الأغلب من الأراضى الأفغانية تعتبر غير ملائمة للعمل القتالى من قِبَل الوحدات العسكرية الحديثة ، والعكس تماماً بالنسبة لعمليات العصابات سواء المنظمة أو غير المنظمة ، وحيث تعتبر الأراضى الجبلية أرضاً مناسبة تماماً لمثل هذا الاستخدام كما سبق الذكر .

* وحتى بالنسبة للعمليات العسكرية التى تتم فوق أراضى جبلية فإن الصور الدفاعية تكون ذات إمكانية تنفيذ أفضل من العمليات التعرضية ومرجع ذلك يعود إلى الاعتبارات الآتية :

- أن الأرض الجبلية تعتبر عائقاً أمام حركة الآليات والمركبات وحيث لا تتم هذه الحركة إلا من خلال الوديان الضيقة والدروب ذات الميول البسيطة وهو الأمر الذى يحرم القوات المقاتلة العاملة فى المناطق الجبلية من مبدأ وإمكانية المناورة .

- وحتى مع وجود اتجاهات عمل صالحة لحركة القوات فإن الجبال العالية تمثل عائقاً طبيعياً ضد إمكانية تحقيق التعاون بين القوة الواحدة التى تقاتل على أكثر من اتجاه إضافة إلى مشاكل عديدة أخرى ترتبط بإجراءات السيطرة على القوات .

- ونظراً لضيق الأماكن الصالحة لعمل القوات فإن عمليات الحشد والفتح التعبوى تمثل مشاكل حقيقية أمام القادة وهيئات القيادة والأركان إضافة إلى صعوبات الانتشار الذى قد تضطر القوات إلى اللجوء إليه تمشياً مع متطلبات الموقف القتالى .

إضافة إلى ما سبق .. فإن الأرض الجبلية تتطلب نوعية خاصة من المقاتلين الذين يجب أن يتمتعوا باللياقة البدنية العالية والمزودين بالتجهيزات الخاصة مثل الحبال والقفازات والخطاطيف ...... إلخ .

- وتضيف ظروف الطقس والمناخ المتقلب نهاراً وليلاً مشاكل وصعوبات عديدة أمام عمل القوات سواء فى نوعية الملبوسات أو المهمات المطلوبة أو فى طبيعة المعدات المستخدمة .

٣ - وقبل أن نخوض فى طبيعة وخصائص الأسلحة والمعدات المناسبة للعمل فى المسرح الجبلى من المهم أن نوضح هنا أن فرد المشاة المقاتل يعتبر السلاح الملائم والأفضل للقتال فى المناطق الجبلية وهو السلاح القادر على تنفيذ المهام القتالية بصورة مرضية . وعلى الرغم من إمكانية استخدام باقى الأسلحة والمعدات القتالية الأخرى فى المناطق الجبلية إلا أن هذه الأسلحة والمعدات تخضع لقيود وتحديدات عديدة تتحكم تماماً فى شكل الاستخدام القتالى المطلوب. ويمكن استعراض ذلك من خلال الآتى :

* يتم استخدام الأفراد المقاتلين فى المناطق الجبلية من خلال وحدات وتشكيلات مقاتلة أو من خلال عصابات منظمة ويراعى هنا أن يتمتع هؤلاء الأفراد بلياقة بدنية عالية وقوة تحمل ، إضافة إلى التجهيزات والآلات الخاصة مثل الحبال - الخطاطيف ...... إلخ .

* بالنسبة للمدرعات والآليات فإن الاستخدام يكون بأعداد قليلة تتناسب وسعة الاتجاهات الصالحة لتنفيذ المناورة القتالية الفعالة مع إمكانية الاستفادة منها كمصادر للنيران .

* بالنسبة لمصادر النيران مثل المدفعية فإن المدافع الخفيفة القابلة للتجزئة والحمل بواسطة الأفراد تعتبر مناسبة للغاية فى مثل هذه الأراضى ، كما أن المدافع التى يمكنها إنتاج نيران ذات خط مرور عالى وزاوية سقوط حادة تعتبر

أيضاً ملائمة للأراضى الجبلية ، وعموماً فإن الهاونات الخفيفة والمتوسطة تعتبر مصادر النيران الرئيسية فى المناطق الجبلية .

* أما بالنسبة للقوات الجوية فهى تعانى بعض المشاكل والصعوبات فى المناطق الجبلية مثل صعوبة تحديد الأهداف نتيجة تغطية السحب للجبال إضافة إلى صعوبة إنشاء المطارات وأراضى النزول .

* وعن الإعاشة والتموين فهناك العديد من الإجراءات اللازم إتخاذها للتغلب على صعوبة ووعورة الأرض - منها على سبيل المثال - تكديس المواد الإدارية بصورة أكبر مع الأفراد والمواقع إضافة إلى التوسع فى استخدام الدراجات كوسائل نقل للإحتياجات ...... إلخ .

* * *

رابعاً - خصائص الشعب الأفغانى :

من خلال استعراضنا السابق للناحية الجغرافية والتأثير على العمليات العسكرية يمكن أن نستنتج مجموعة من الخصائص التى تميز الشعب الأفغانى عن غيره من الشعوب ، ومن أبرز هذه الخصائص الآتى بعد :

* إن الشعب الأفغانى كان ضحية للجغرافيا السياسية التى حتمت عليه أن يجاور مجموعة من الدول تعتبر كلها ذات وزن سياسى أكبر من وزنه ، إضافة للنواحى الأخرى التى تتفوق فيها هذه الدول [1] ويكفى القول هنا أن من جيران الشعب الأفغانى الاتحاد السوفييتى (سابقاً) والصين الشعبية ، والمعروف منطقياً أنه فى العلاقات بين الدول تكون الدولة القوية ذات تأثير يتناسب مع وزنها على غيرها من الدول المجاورة لها ومن هنا تعتبر أفغانستان ميداناً خصباً تتلاقى فيه عوامل التأثير الواردة من الجيران الأقوياء بكل ما تحمله من توافق أو تناقض .

* وعلى الرغم من أن الشعب الأفغانى يمثل مجالاً خصباً لتلاقى عوامل التأثير الواردة من الخارج إلا أن سرعة انتشار هذا التأثير بطيئة للغاية وتتناسب

---

(١) يعتبر الشعب الأفغانى واحداً من أفقر عشرين شعب فى العالم .

مع طبيعة أرضه الجبلية الصعبة التى تمثل عائقاً أمام مَن يفكر فى غزو هذا الشعب أو إخضاعه بالقوة العسكرية .

* أيضا كان الشعب الأفغانى ضحية للجغرافيا البَشرية ، فعلى الرغم من أن القبائل التى تسكن أرض أفغانستان قد تواجدت على هذه الأرض منذ زمن بعيد إلا أن كل قبيلة قد احتفظت بعاداتها ولغتها ، وأضافت طبيعة الأرض الصعبة مع تعدد القبائل التى غالباً ما يكون لها أجزاء فى حدود دول أخرى على الشعب الأفغانى طابع الشعب القَبلى ، والشعوب القَبلية غالباً ما تكون شعوب غير متجانسة أو مترابطة .

* إن أقوى رابط بين أفراد الشعب الأفغانى هو رباط العقيدة ، ويمكن القول هنا إنه لولا الإسلام الذى هو دين ٩٩٪ من الشعب الأفغانى لما ظلت أفغانستان إلى يومنا هذا دولة موحدة ، ومن الإنصاف العلمى القول إن الذى ساعد العقيدة على ربط هذا الشعب هو قوة الإيمان بالعقيدة ذاتها .

* إن الفرد الأفغانى يتصف بصفات تتناسب وطبيعة أرضه الصعبة الوعرة فهو فرد صبور وقوى ، يملك قدرة تحمل عظيمة إضافة إلى كونه فرداً غير مرفه بحكم مستوى المعيشة للدولة الأفغانية والذى يتصف بأنه واحد من أقل مستويات المعيشة فى العالَم .

* * *



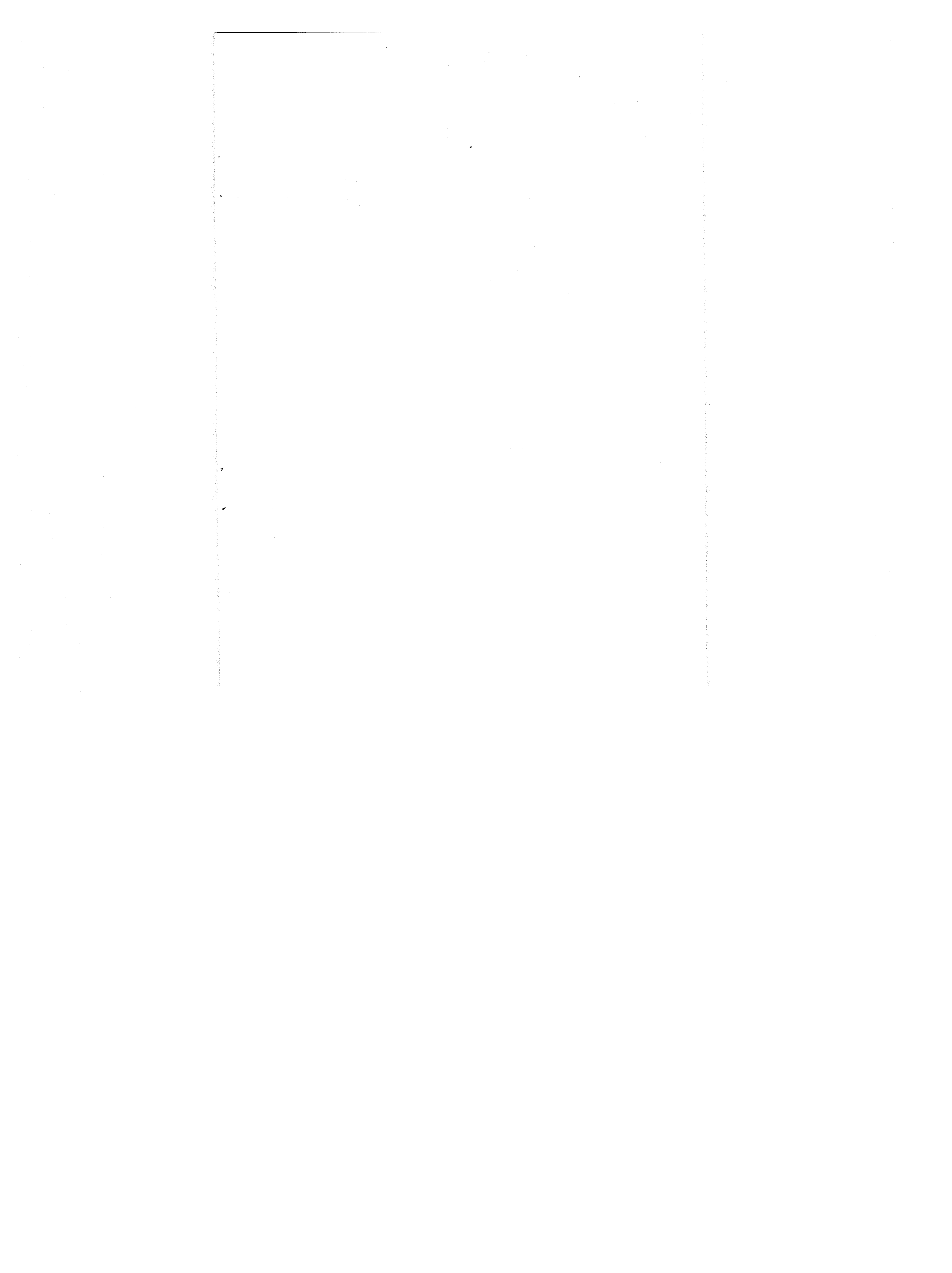
الفصل الثانى

أفغانستان المسلمة

« لو لم يبق للإسلام فى الدنيا عرق ينبض لرأيت عرقه بين سكان جبال الهملايا والهندوكاش نابضاً وعزمه هناك ناهضاً »

(الأمير شكيب أرسلان)

* * *



أفغانستان المسلمة

١ - يبدأ التاريخ الأفغانى مع الإسلام منذ عهد عثمان بن عفان (رضى الله عنه) وذلك عندما كلف عبد الرحمن بن سمرة عامل البصرة بالاستعداد والتحرك إلى سيستان للقيام بعرض الإسلام على أهلها حيث نجح عبد الرحمن فى دخول مدينة زاهدان ثم استمر فى التحرك والتقدم حتى وصل إلى مدينة زمين داور .

٢ - وفى عهد معاوية بن أبى سفيان واصل عبد الرحمن بن سمرة تقدمه ماراً بوادى غزنة حتى وصل إلى كابول . وعلى الرغم من إعتناق حاكم البلاد للدين الإسلامى إلا أن هذه الفتوحات لم تنجح فى تثبيت أركان الإسلام داخل الأراضى المستولى عليها بإستثناء سيستان القريبة من بلاد الفُرس المسلمة والتى تم اتخاذها كقاعدة عسكرية تنطلق منها القوات المسلمة لنشر دعوة المولى عزّ وجلّ .

٣ - ومن سيستان تم تنفيذ عدة محاولات أخرى لنشر الدين الإسلامى داخل الأراضى الأفغانية ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل وكان من أشهرها المحاولات الآتية :

* فى عام ٧٩ هـ حملة عسكرية بقيادة عبيد الله أبى بكرة .

* فى عام ٨١ هـ حملة عسكرية أخرى أرسلها الحجاج الثقفى بقيادة عبد الرحمن بن الأشعث .

* وفى عهد هارون الرشيد نجحت حملة عسكرية ثالثة بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلى فى الاستيلاء على كابول ولكن لم يتم الاحتفاظ بها طويلاً .

٤ - وفى عام ٢٤٧ هـ تمكنت قبيلة صفار من فرض سيطرتها على سيستان بزعامة يعقوب بن الليث وامتدت هذه السيطرة حتى وصلت إلى هلمند وغزنة وكابول التى خضعت للإسلام تماماً فى عام ٢٦٠ هـ وكان ذلك على حساب الدولة الطاهرية التى أسسها طاهر بن الحسين أبو الطيب .

٥ - وفى عام ٢٩٦ هـ أسس أحمد بن أسد الدولة السامانية وقد امتد سلطان هذه الدولة إلى بلاد الأفغان إلى أن نجح محمود الغزنوى فى عام ٣٨٩ هـ فى تأسيس الدولة الغزنوية والتى ضمت أفغانستان إلى حكمها وإقليم البنجاب فى حوض نهر السند وقد إتخذ محمود الغزنوى من غزنة عاصمة للبلاد .

٦ - ومع ظهور نفوذ السلاجقة بدأ الصراع بين الغزنويون والسلاجقة والغوريون [١] فى إطار من العصبية والمصالح الشخصية التى كان لها تأثير سيىء على استقرار المسيرة الإسلامية فى بلاد الأفغان وكان من أهم النتائج السلبية لهذه الفترة الآتى بعد :

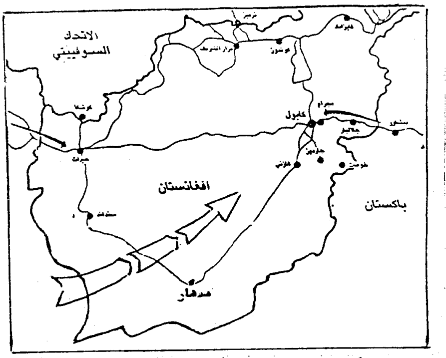
* تم إحياء لغات محلية ولهجات إقليمية كثيرة كانت قد اندثرت مع قدوم الإسلام إلى هذه البلاد .

* التفكك والضعف الذى اعترى البلاد نتيجة الانقسامات والصراعات .

* أصبحت بلاد الأفغان مطمعاً لغير أهلها حيث بدأت الغزوات تأتى من الخارج وبدأت أنظار الأقوياء تصوب إليها .

---

(١) نسبة إلى غور من أقاليم جنوبى أفغانستان فى جبال هندوكاش .



شكل رقم (٤) اتجاه دخول الإسلام لأفغانستان

٧ - وفى عام ٥٨٣ هـ نجح الغوريون فى إسقاط الأسرة الغزنوية ، وبعد فترة قصيرة من قيام الدولة الغورية نجح علاء الدين محمد بن تكش فى الاستيلاء على ولايتى الغور وغزنة وأنشأ الدولة الخوارزمية فى عام ٦١٢ هـ .

٨ - تعرضت الدولة الخوارزمية في عام ٦١٧ هـ إلى هجمات المغول القادمين من غرب الصين حيث نجحوا فى اجتياح خوارزم والاستيلاء على بلاد التركستان بقيادة جنكيز خان الذى واصلت قواته التقدم حتى وصلت إلى بحر البلطيق شمالاً فى نفس الوقت الذى كانت فيه قوات أخرى بقيادة هولاكو تستولى على أراضى الدوله العباسية . وقد عانت المناطق التى وقعت تحت سيطرة المغول فى بادىء الأمر الكثير من المعاناة . وكان الجزء الأكبر من الأراضى الأفغانية تحت سيطرتهم . وقد استمرت الدولة المغولية فترة طويلة حيث أصابها الضعف مع بداية القرن السابع الهجرى نتيجة الفتن والقلاقل التى انتشرت بين قادة وزعماء المغول حتى جاء تيمورلنك وأعاد للدولة المغولية هيبتها وسلطانها . ومن الملاحظ هنا أنه مع استقرار المغول فى الأراضى التى قاموا بالاستيلاء عليها كان هناك تأثر شديد بعقائد أهل هذه الأراضى . لذلك اعتنق الكثير منهم الإسلام .

٩ - ومع بداية القرن التاسع الهجرى تعرضت الأراضى الأفغانية لموجة جديدة

من الغزاة الأتراك القادمين من السهول حيث أنشأوا دولة الأزويك التى لم تستمر طويلاً بعد أن قام إسماعيل الصفوى فى عام ٩١٦ هـ بالإغارة على خراسان ثم استولى على هراة وأجبر أهلها على إعتناق المذهب الشيعى ونجح فى إنشاء الدولة الصفوية التى دام حكمها حتى عام ١١٤٩هـ . وعلى الرغم من المنازعات الكثيرة التى برزت فى عهد الدولة الصفوية خصوصاً مع بقايا المغول إلا أن عهد هذه الدولة تميز بغارات هامة وقعت على سهول الهند من ناحية الجبال الواقعة فى غربى وادى السند ، وقد ساعدت هذه الغارات على نشر الإسلام فى بلاد الهند وتثبيت دعائمه .

١٠ - وفى عصر الدولة الإفشارية التى أسسها طهماسب قولى خان الإفشارى واستمر حكم هذة الدولة حتى عام ١١٦٢ هـ حيث نجح أحمد خان فى تولى حكم البلاد مؤسساً الدولة الدورانية وكان مركز حكمه فى قندهار ، وعلى الرغم من سيطرة أحمد خان القوية على البلاد ونجاحه فى القضاء على الكثير من الفتن والمنازعات إلا أن آخر ملوك هذه الدولة شجاع الملك تقدم بطلب للمساعدة من بريطانيا ضد منافسه محمد زائى .

١١ - قامت بريطانيا بالتدخل فى أفغانستان وخاضت معركتان هما :

* المعركة الأولى عام ١٢٥٥ هـ واستمرت لمدة ثلاث سنوات تقريباً وانتهت بالقضاء على الجيش البريطانى تماماً عند ممر خرد كابول على يد أكبر خان بن دوست محمد وقد ترتب على هذه المعركة الآتى :

- عقد معاهدة صداقة بين الطرفين نقضت من قبل بريطانيا فى عام ١٢٧٢ هـ عندما دخلت القوات البريطانية قندهار ، وعام ١٢٨٠ هـ عندما دخلت مدينة هراة .

- أدى عدم استقرار الأحوال إلى قيام الجيش الروسى بالاستيلاء على خراسان عام ١٢٩٠ هـ .

- عقدت اتفاقية بين الروس والإنجليز تم بناء عليها تحديد حدود التوسع الروسى بنهر جيحون .

- بعد تحجيم الجيش الروسى بدأت القوات الإنجليزية فى التوسع ، الأمر الذى حدا بشير على بن محمد زائى إلى طلب المساعدة الروسية .

* المعركة الثانية عام ١٢٩٥ هـ وفيها تعرض الإنجليز لخسائر كبيرة فى قواتهم ورغم ذلك فقد استطاعوا السيطرة على أجزاء كبيرة من بلاد الأفغان .

١٢ - اضطرت القوات الإنجليزية للجلاء عن أفغانستان تحت ضغط الكراهية والمقاطعة الأفغانية بعد أن وقعت معاهدة صداقة مع عبد الرحمن ابن أخ شير على ، وعلى الرغم من الصراعات التى كانت تجرى للاستيلاء على السلطة وتودد الحكام لحكومة الهند الإنجليزية ومظاهر الفسق والفرنجة التى تم تصديرها إلى البلاد الأفغانية إلا أن الشعب الأفغانى كان محافظاً على عقيدته ودينه وكان يثور ويهب ضد الفسقة والعملاء مثلما حدث ضد الملك أمان الله خان .

١٣ - وبانتهاء الحرب العالمية الأولى كانت أغلب دول العالم الإسلامى قد وقعت تحت نير الاستعمار والسيطرة الأجنبية فيما عدا أفغانستان وشبه الجزيرة العربية .

١٤ - وعلى الرغم من وقوع أغلب الدول الإسلامية فريسة للحضارة الغربية إلا أن بلاد الأفغان تعتبر أقل البلاد تأثراً بهذه الحضارة ، وما زال التمسك بالإسلام وتعاليمه سمة من سمات الشعب الأفغانى الذى يحيا أغلب أفراده على الفطرة السليمة .

١٥ - ومن خلال الاستعراض السابق لتاريخ أفغانستان الإسلامى يمكن لنا أن نتوقف أمام عدة اعتبارات هامه هى :

* إنه على الرغم من الفترة الزمنية الطويلة التى استغرقها إنتشار الإسلام داخل بلاد الأفغان إلا أن تمسك الأفغانى بدينه كان تمسك قوى بل كانت بلاد الأفغان قاعدة تنطلق منها موجات الإسلام إلى الأراضى المجاورة لنشره دعوة الله فى الأرض .

* وعلى الرغم من تعرض البلاد الأفغانية للعديد من الصراعات والانقسامات التى تم معها إحياء العادات واللغات واللهجات التى قضى عليها الإسلام إلا أن طبيعة الشعب الأفغانى المحافظ والمتمسك بدينه وعقيدته ساعدت على أن تكون بلاد الأفغان منطقة استقرار إسلامية .

* إن الشعب الأفغانى لا يتجاوب بسهولة مع الأغراب ، وعلى الغريب الذى يدخل أفغانستان أن يتكيف مع طبائع وعادات وعقائد الشعب الأفغانى . فقد دخل المغول الذين استوطنوا أفغانستان الإسلام بينما رحل الإنجليز من تلك البلاد هرباً من الصعوبات والعراقيل التى واجهوها .

* وعندما وقعت الدول الإسلامية فريسة للحضارة الغربية خصوصاً الجانب السلبى منها نجد أن هناك مناطق كثيرة فى أفغانستان قد رفضت هذه الحضارة بل وكل ما جاء من الغرب . وقد ساعد على ذلك طبيعة الموقع الأفغانى وخصائص هذا الشعب العظيم .

* * *

الفصل الثالث

أفغانستان والشيوعية

« جهادنا بدأ قبل دخول السوفييت إلى أفغانستان ، والذين يقولون إننا لم نبدأ الجهاد إلا بعد الغزو الروسى إنما يعنون بأننا انتظرنا حتى أحسسنا بالخطر على بيوتنا وهذا أمر غير صحيح ».

(عبد رب الرسول سياف)

فى حديث له مع مجلة المجتمع

١٩٨٥/٨/٢.

* * *

أفغانستان والشيوعية

١ - بحكم الموقع الأفغانى الذى كان يمثل فيه الاتحاد السوفييتى (سابقاً) الجار الشمالى لدولة أفغانستان . كان من الطبيعى أن يكون هناك تأثير متبادل بين الدولتين ، وأيضاً كان من المنطقى أن يكون التأثير السوفييتى هو التأثير الأقوى بحكم الفارق فى الوزن السياسى والعسكرى ..... إلخ

٢ - وعلى الرغم من النجاح الذى صادف الحركة الشيوعيه داخل أغلب الدول التى لها حدود مشتركة مع الاتحاد السوفييتى (سابقاً) إلا أن هذه الحركة لم تصادف هذا النجاح داخل دولة أفغانستان حيث تأخر تأسيس الحزب الشيوعى هناك نحو عشرين عاماً تقريباً عن باقى الدول الأخرى المجاورة للاتحاد السوفييتى (سابقاً) ويرجع هذا التأخر إلى عاملين أساسيين هما :

* طبيعة المجتمع الأفغانى المحافظ حيث تسوده الحياة القَبلية بصورة قوية وشاملة .

* العلاقات الطيبة بين الدولتين خصوصاً فى عهد الرئيس الأفغانى أمان الله وحيث ساعدت هذه العلاقة على امتصاص الكثير من جهد الحركة الشيوعية تجاه أفغانستان خصوصاً مع زوال المخاوف السوفييتية من أى جهد أفغانى إسلامى يوجه نحو الجمهوريات السوفييتية المتاخمة للحدود الأفغانية .

٣ - وفى أواخر الأربعينات من هذا القرن بدأت الحركة الشيوعية تجد صدى لها داخل دولة أفغانستان وكان هناك عوامل عديدة ساعدت على ذلك ومن أبرزها الآتى بعد :

* النفوذ الكبير الذى أصبح يتمتع به الاتحاد السوفييتى (سابقاً) كدولة عظمى خصوصاً بعد أن خرج منتصراً من الحرب العالمية الثانية ووقوفه على قدم المساواة مع الولايات المتحدة الأمريكية الدولة الأولى فى العالم .

* المساعدات الكثيرة والقيّمة التى قدمها الاتحاد السوفييتى إلى أفغانستان فى مجالات عديدة خصوصاً المجالات العلمية والثقافية .... إلخ .

* انتشار التعليم داخل المدن الأفغانية وظهور طبقة مثقفة متأثرة إلى حد كبير بالأفكار الشيوعية التى وصلت إليها عن طريق الدراسة فى الاتحاد السوفييتى .

٤ - وفى عام ١٩٥١ بدأ ظهور أول تنظيم شيوعى داخل دولة أفغانستان حيث لعب كُلاً من محمد نور تراقى وبابراك كارمل دوراً رئيسياً فى تأسيس هذا التنظيم تحت اسم حزب الشعب « خلق » وقد عمل حزب الشعب جاهداً على لم شمل جميع القوى الشيوعية الموجودة فى البلاد استعداداً للانتخابات النيابية التى تمت عام ١٩٦٤ وقام بتغيير اسمه إلى « حزب الشعب الديمقراطى الأفغانى».

٥ - تبنّى برنامج الحزب المبادئ الأساسيه للفكر الشيوعى العالمى مع محاولة إضفاء بعض التغيرات البسيطة التى تتمشى والظروف فى دولة أفغانستان وكان من أبرز ملامح هذا البرنامج الآتى بعد :

* الدعوة إلى قيام حكم وطنى ديمقراطى ينتشل البلاد من أيدى رجال الإقطاع والاحتكارات .

* التوسع فى نشر التعليم فى كافة المدن والقُرَى الأفغانية والعمل على خفض نسبة الأميّة العالية فى أفغانستان .

* مساواة المرأة بالرجل فى كافة الحقوق السياسية والاجتماعية .

* تنمية الفنون والثقافة الأفغانية حفاظاً على التراث الشعبى الأفغانى .

* إنهاء النفوذ الأجنبى فى أفغانستان بجميع صوره وأشكاله .

* دعم سياسة التعايش السلمى ومساندة القوى التقدمية والثورية فى العالم.

٦ - بانتهاء انتخابات عام ١٩٦٤ فاز حزب الشعب الديمقراطى بعدد أربعة مقاعد فى البرلمان الأفغانى وأصبح له وجود رسمى معترف به حيث تم انتخاب محمد نور تراقى أمين عامّ اللجنة المركزية للحزب ، وبدأ الحزب يستعد لإصدار جريدة ناطقه باسمه ونجح فى ذلك فى عام ١٩٦٦ فصدرت جريدة « الخلق » التى لم تكتف بالتعبير عن سياسة وآراء الحزب ، ولكن إضافة إلى ذلك أخذت خطاً آخر تمثل فى معاداة الدين الإسلامى وبصورة ساخرة الأمر الذى اضطر الحكومة إلى التدخل ومنع صدور الجريدة بعد أن صدر منها بالفعل نحو سبعة أعداد تقريباً .

٧- كان رد الحزب على قرار مصادرة الجريدة قوياً وعنيفاً حيث نجح فى استقطاب النواب المعارضين للحكومة وقام بتنظيم عدة مظاهرات كبيرة تنادى بضرورة إسقاط الحكومة الأفغانية . وقد نجح الحزب فى تحقيق هدفه وسقطت الحكومة فعلاً وأمر ملك أفغانستان بتشكيل حكومة جديدة قامت بتزوير الانتخابات التى تمت فى عام ١٩٦٩ بهدف إسقاط الأغلبية المعارضة فى البرلمان الأفغانى (١) ومنعها من دخول البرلمان الجديد ، وقد ترتب على ذلك إزدياد حدة التطرف لدى قيادات حزب الشعب الديمقراطى وأصبح الدور الرئيسى لهذا الحزب داخل الحياة السياسية فى أفغانستان يتمثل فى أعمال التحريض ضد النظام الحاكم فى أفغانستان وحيث اتخذت هذه الأعمال صور عديدة سواء فى شكل مظاهرات أو اضطرابات أو إضرابات ...... إلخ .

٨ - واعتباراً من أواخر الستينيات بدأ حزب الشعب الديمقراطى الأفغانى يعانى من مشاكل عديدة من أبرزها الآتى بعد :

* اضطهاد الحكومة للحزب وعدم وجود جريدة تعبِّر عن آرائه على الرغم من قيام بابراك كارمل بإصدار جريدة سرية تحت اسم « بارشام » .

---

(١) رغم ذلك نجح بابراك كارمل وحفيظ الله أمين وهما أعضاء مؤسسين للحزب .

* تعدد الزعامات فى الحزب ممثلة فى نور محمد تراقى وبابراك كارمل مع وجود كوادر أخرى طامعة فى مراكز الصدارة للحزب مثل طاهر بدخبشى وحفيظ الله أمين .

* ونظراً للتفاوت الكبير فى المستوى الاجتماعى بين زعامات حزب الشعب الديمقراطى الأفغانى ووجود حساسيات شخصية بينهم فقد لعبت هذه الحساسيات دوراً كبيراً فى تشكيل عقائد الزعامات وبدأت الخلافات الجوهرية بينهم .

* مع ظهور بوادر الانقسام داخل الحزب عملت زعاماته على محاولة اكتساب اعتراف الحركة الشيوعية العالمية . وتبارى الجميع فى بذل الجهد للحصول على تأييد الاتحاد السوفييتى (سابقاً) .

٨ - ثم كانت النتيجة الحتمية للخلافات والمشاكل الموجودة داخل الحزب هو انقسام الحزب إلى ثلاثة أجنحة رئيسية يمكن إيجازها من خلال الآتى بعد :

الجناح الأول : وعرف باسم « خلق » وكان بزعامة محمد نور تراقى وضم هذا الجناح البوشتون الفقراء والأقليات المضطهدة ، وكان هذا الجناح ينادى بضرورة بناء طبقة عاملة تقود الثورة وفقاً للمبادىء الماركسية إضافة إلى ضرورة إعطاء الحكم الذاتى لمقاطعة بوشتونستان وإيجاد حلول منطقية لمشاكل الأقليات فى أفغانستان .

الجناح الثانى : وعرف باسم « بارشام » وكان بزعامة بابراك كارمل وقد ضم الجناح البوشتون الأغنياء من قاطنى كابول ذوى المستوى الاجتماعى المرتفع وكان هذا الجناح يؤمن بضرورة قيام جبهة وطنية تتولى مقاليد الحكم مع محاولة اكتساب أكبر قدر من ضباط وقيادات القوات المسلحة على أساس أنها الأداة الأكثر قدرة على التغيير .

الجناح الثالث : وعرف باسم « شامى ملى » وكان بزعامة طاهر بدخبشى وهذا الجناح كان أكثر ميولاً إلى الشيوعية الصينية على عكس جناحى « خلق » و « بارشام » ذواتا الميول إلى الشيوعية السوفييتية .

٩ - وفى عام ١٩٧٣ تولى محمد داود حكم أفغانستان إثر انقلاب عسكرى يقوده ضباط ينتمون لجناح « بارشام » . وكان من المنطقى أن يكون جناح «بارشام » الذى يضم العديد من قيادات وضباط القوات المسلحة الأفغانية قريباً من السلطة ، وهو ما تم فعلاً ، إلا أنه مع استقرار وثبات نظام محمد داود فى الحكم بدأت الفجوة تتسع بينه وبين قيادات جناح « بارشام » وبدأت الدفة تميل لصالح الجناح الآخر المنافس وهو جناح « خلق » .

١٠ - ومع إعراض نظام محمد داود عن جناح « خلق » بعد ذلك تسبب هذا الإعراض فى إعادة التقارب بين جناحى « خلق » و « بارشام » حيث عمل كُلاً منهما على الإطاحة بنظام محمد داود وهو ما تحقق بالفعل فى إبريل عام ١٩٧٨ حيث نفذ العسكريون الأفغان إنقلاباً دموياً بقيادة الجنرال عبد القادر راح ضحيته حوالى ١٠ آلاف قتيل أفغانى ونحو ١٣٠ ألف جريح وتم تسليم السُلطة لـ « حزب الشعب الديمقراطى » الذى أسس هيئتين مركزيتين الأول. مجلس ثورى مكون من ٣٥ عضواً ، والثانى مجلس الوزراء ويتكون من ٢١ وزيراً . والملاحظ هنا أن جميع الأعضاء فى المجلسين تم اختيارهم من أعضاء «حزب الشعب الديمقراطى » وحيث أصبح نور محمد تراقى رئيساً للحزب الحاكم وأيضاً رئيسا للدولة الأفغانية .

١١ - كان من الصعب أن يكون الوضع الجديد بعد الانقلاب الأخير مقبولاً من قِبَل جناح « بارشام » بقيادة بابراك كارمل وذلك لعدة أسباب رئيسية منها على سبيل المثال .

* أن جناح « بارشام » هو الذى استقطب العديد من ضباط وقادة القوات المسلحة كأعضاء داخل الحزب وبالتالى فهو الجناح الأحق بتولى قيادة الحزب وقيادة الدولة بالتالى .

* أن جناح « بارشام » يضم صفوة قبائل البوشتون القاطنة فى كابول وهى صفوة متعلمة ومثقفة وبالتالى فهى الأحق بتولى مراكز الزعامة فى الحزب والدولة .

* أن جناح « بارشام » يرى ضرورة بقاء جميع الولايات الأفغانية خاضعة

لسيطرة ونفوذ الدولة ، بينما جناح « خلق » بزعامة نور محمد تراقى يرى إعطاء الحكم الذاتى لبعض الأقليات وهو الأمر الذى يتنافى مع المصلحة العليا للدولة.

١٢ - حسم نور محمد تراقى الصراع لصالحه من خلال إتهامه لجناح «بارشام» بالتخطيط لتنفيذ إنقلاب عسكرى آخر . وبناء على هذا الاتهام اتخذت اللجنة المركزية لحزب الشعب الديمقراطى قراراً يقضى بطرد عشرة أعضاء من الحزب كان من أبرزهم بابراك كارمل زعيم جناح « بارشام » . إضافة إلى تنفيذ العديد من عمليات التطهير داخل الحزب التى كان لها أثر عكسى حيث بدأت الأنظار تتجه إلى حفيظ الله أمين على أساس أنه يمثل الوجه الأكثر قبولاً وارتياحاً من قبَل أعضاء الحزب الحاكم .

١٣ - حاول نور محمد تراقى تحجيم حفيظ الله أمين فانتهز فرصة قيامه بزيارة إلى كوبا خلال عام ١٩٧٩ وقام بالاتصال ببابراك كارمل لهذا الغرض ، فى نفس الوقت الذى استشعر فيه حفيظ الله أمين بالغدر المبيَّت له فانتهز فرصة عودة نور محمد تراقى من زيارته الخارجية وقام بتنفيذ إنقلاب عسكرى في ١٤ سبتمبر عام ١٩٧٩ قُتل خلاله نور محمد تراقى واستولى حفيظ الله أمين على السلطة رغم معارضة الاتحاد السوفييتى (سابقاً) وعدم إرتياحه لذلك .

١٤ - وفى ٢٧ ديسمبر عام ١٩٧٩ إستغل الاتحاد السوفييتى (سابقاً) تدهور الأوضاع الأمنية داخل أفغانستان نتيجة لنشاط الجماعات الإسلامية التى تقاوم استيلاء الشيوعيين على الحكم وقام بالتدخل عسكرياً حيث تم القبض على حفيظ الله أمين وإعدامه وتعيين بابراك كارمل بدلاً منه .

١٥ - ومع ازدياد نشاط الجماعات والأحزاب الإسلامية فى أفغانستان وتوسع أعمال المقاومة للنظام الشيوعى الحاكم رأى الاتحاد السوفييتى (سابقاً) أن بابراك كارمل غير قادر على السيطرة وأن زمام الأمور تتصف بالفوضى ولا بد من تعيين بديل له يتمتع بخبرة كبيرة فى المجال الأمنى والإستخبارى ، وحيث تم فى ٤ مايو عام ١٩٨٦ تنفيذ إنقلاب سلمى ترتب عليه إزاحة بابراك كارمل والقبض على المئات من أنصاره وتولى نجيب الله البرشمى رئاسة الحزب والدولة.

* * *

الفصل الرابع

أفغانستان فى الاستراتيچية السوڤييتية

« أكلمكم بكل وضوح بأننا لم نحصل على قرش ولا على رصاصة واحدة من قِبَل أمريكا ولا من أى دولة غربية »

(عبد رب الرسول سياف) .

* * *

أفغانستان فى الاستراتيچية السوڤييتية

١ - إتصفت الاستراتيچية السوڤييتية خلال الفترة التى كان فيها الاتحاد السوڤييتى يمثل القطب الثانى المهيمن مع الولايات المتحدة الأمريكية على مقدرات الكرة الأرضية بالشمول حيث كانت هذه الاستراتيچية تحتوى وتشمل كل دول العالم تقريباً إضافة إلى التقديرات والحسابات الدقيقة التى تتسم بالمرونة فى مواجهة القطب الآخر . وبناء على ذلك يمكن القول أن كل دولة من دول العالم كانت تمثل شيئاً معيناً داخل خريطة الاستراتيچية السوڤييتية مثلما أنها تمثل نفس الشىء فى خريطة الولايات المتحدة الأمريكية . وهناك مجموعة من العوامل التى تحدد مقدار أهمية الدور الذى تلعبه أو تمثله أى دولة داخل استراتيچيات الأقطاب الكبرى فى العالم ، ومن هذه العوامل الاعتبارات الآتية:

* الموقع الجغرافى للدولة من وجهة نظر الدولتان الكبيرتان ومدى قُرب أو بُعد هذه الدولة من حدودهما .

* الموقع الجغرافى من وجهة نظر دول العالم الأخرى ومدى ما تتحكم فيه من طرق مواصلات ...... إلخ .

* إمكانيات الدولة سواء البَشرية أو الاقتصادية أو العلمية ...... إلخ وشكل النظم السياسية والاقتصادية التى تقود عملية التنمية الاقتصادية داخل الدولة .

* العقيدة الدينية السائدة داخل الدولة مع مراعاة أن هذا العامل غير معلن فى ظل القضايا الإنسانية التى كانت تقع داخل دائرة الخلاف بين الدولتين الكبيرتين مثل قضايا حقوق الإنسان وعلمانية نظم الحكم ..... إلخ .

٢ - وحينما ننظر إلى دولة أفغانستان من وجهة نظر الاستراتيچية

السوفييتية وفى ضوء الاعتبارات والعوامل السابق إيضاحها فإننا سوف نرى الوضع فى إطار الآتى :

* إن دولة أفغانستان تمثل بالنسبة للاتحاد السوفييتى (سابقاً) الجار الجنوبى وهى امتداد طبيعى (جغرافى وتاريخى) لأراضى تركستان المسلمة التى نجح الاتحاد السوفييتى فى الاستيلاء عليها وضمها إلى الدولة السوفييتية بما تحتويه من نحو ٧٠ مليون نسمه يمثلون ربع تعداد الدولة السوفييتية ويدين أغلبهم بالدين الإسلامى ، وقد بذل الحزب الشيوعى السوفييتى جهوداً كثيرة ومكثفة من أجل تحقيق عملية استبدال عقائدى لسكان أراضى تركستان ولكى يحل الفكر الشيوعى مكان الفكر والعقيدة الإسلامية ، وقد استلزم ذلك الأمر طمس وتزوير التاريخ للحصول على أجيال ذات صبغة شيوعية صرفة ونقية . وللحفاظ على نتائج الجهود المبذولة اعتمد التخطيط الاستراتيجى السوفييتى بالنسبة لدول الجوار - وعلى رأسها أفغانستان - على النقاط الهامة التالية :

* تأمين الحدود السياسية بصورة قويه لمنع أى إتصال بين السكان الأفغان المسلمين وسكان أراضى تركستان والتى تجمعهم الروابط القبلية وذلك ضمان لعدم تسلل تعاليم ومبادىء الإسلام إلى سكان تلك المنطقة مرة ثانية .

* الإمساك بزمام المبادأة وذلك عن طريق محاربة الدين الإسلامى فى عقر داره ويتم ذلك من خلال عدة مجالات هى :

الأول : وهو المجال العلمى والثقافى وذلك عن طريق تخصيص منَح دراسية فى المدارس والجامعات والأكاديميات السوفييتية للطلاب الأفغان بهدف خلق طبقة مثقفة تدين بالولاء للفكر الشيوعى السوفييتى وحيث يمكن استخدام هذه الطبقة فيما بعد كأداة لنشر الفكر الشيوعى داخل أفغانستان ، إضافة إلى إمكانية الاستيلاء على الحكم بواسطة الكوادر العسكرية المؤهلة فى الاتحاد السوفييتى .

الثانى : وهو المجال الاقتصادى وذلك عن طريق مساندة الاقتصاد الأفغانى

بالمنح والقروض والمساعدات التى تهدف إلى ربط الاقتصاد الأفغانى بالدولة السوفييتية ووضعه فى قائمة الاقتصاديات التابعة للاتحاد السوفييتى (سابقاً).

الثالث : وهو المجال العسكرى وذلك عن طريق التدخل الفورى فى دولة أفغانستان للقضاء على أى نظام حكم إسلامى أو أى قوة إسلامية يمكن أن ينتقل تأثيرها إلى سكان أراضى تركستان .

* كما يعتبر الموقع الأفغانى من وجهة النظر الدولية هو الموقع الأول الذى يجب اجتيازه من قبل السوفييت للوصول إلى المياه الدافئة فى المحيط الهندى والخليج العربى . ومن المعروف أن من أبرز نقاط ضعف الموقع السوفييتى هو عدم إطلاله على بحار أو محيطات دافئة وهو الأمر الذى ينعكس بالسلب على الاستخدام العسكرى للقوات البحرية السوفييتية . وعلى الرغم من نجاح الاتحاد السوفييتى (سابقاً) فى الحصول على بعض التسهيلات البحرية فى دول عديدة وقيام هذه التسهيلات بدور رئيسى فى استمرار التواجد البحرى السوفييتى فى بحار ومحيطات العالم ، إلا أن الوضع المكلف مادياً مقبول فقط فى وقت السلم. أما فى وقت الحرب فإن الأمر يتطلب أن تكون هذه التسهيلات موجودة بالقرب ما أمكن من الأراضى السوفييتية حتي تكون هناك إمكانية لتوفير التأمين اللازم لها ، إضافة إلى ضمان استمرار ما تقدمه من خدمات ومساعدات . ولا شك أن أقرب البحار والمحيطات الدافئة للاتحاد السوفييتى (سابقاً) - المحيط الهندى والخليج العربى - لا يمكن الوصول إليهما من وجهة النظر السوفييتية إلا من خلال أفغانستان أساساً .

* إضافة إلى ما سبق فإن الإمكانيات الأفغانية خصوصاً فى مجال البترول الذى بدأ ظهوره فى الجزء الشمالى الغربى فى أوائل الستينيات قد أضاف الكثير إلى الأهمية الأفغانية بالنسبة للاستراتيجية السوفييتية ، وقد ازدادت الأهمية البترولية لأفغانستان بعد التأكد من أن الاحتياطى البترولى للاتحاد

السوڤييتى (سابقاً) قليل نسبياً ، إضافة إلى أن احتمالات نفاده مع بداية القرن القادم تعتبر احتمالات قوية ومؤكدة طبقاً لأرقام وإحصائيات الاستهلاك والتصدير .

* وتمثل أفغانستان أحد أفضل الأسواق الاقتصادية للسياسة الاقتصادية السوڤييتية ، فهى من جهة تعتبر سوقاً غير مكلف نظراً لقربها من الاتحاد السوڤييتى (سابقاً) ومن جهه أخرى سوقاً ملائماً للمنتجات السوڤييتية التى كانت تتميز بالصنع الردىء وحيث كانت الأسواق الأخرى الغربية ترفضها على الرغم من رخص أسعارها .

* ثم نأتى أخيراً للاعتبار العقائدى وهو الاعتبار غير المعلن فى استراتيچيات الأقطاب الكبرى وحيث تتفق أغلب العقائد الدنياوية . سواء أكانت سماوية أو بَشرية على الوقوف بقوة فى وجه المد الإسلامى بناء على مجموعة من المفاهيم الخاطئة ومن أبرزها المفهوم القائل بأن الدين الإسلامى قد انتشر بحد السيف . ومن هنا كانت دواعى الدهشة والاستغراب كثيرة خصوصاً عندما نطالع فى وسائل الإعلام العالمية أخباراً عن قيام بعض الدول الغربية - وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية - بتقديم المساعدات العسكرية وغير العسكرية للجماعات والمنظمات الإسلامية التى تقاوم الفكر الشيوعى فى أفغانستان ، ووجه الاستغراب هنا ناتج بناء على النقاط الآتية :

* أن هناك اتفاقاً تاماً من وجهة النظر الاستراتيچية الأمريكية ووجهة نظر الاستراتيچية السوڤييتية على الوقوف والتصدى لكافة العناصر والحركات الإسلامية التى تهدف إلى أسلمة نظم الحكم وتطبيق الشريعة الإسلامية . وفى الوقت الذى لم نسمع فيه أى استنكار واحتجاج على ضم السوڤييت لأراضى تركستان المسلمة نجد أن الإدارة الأمريكية لم تعترف بضم الاتحاد السوڤييتى (سابقاً) لأراضى دول بحر البلطيق المسيحية . وعندما استقلت دول البلطيق مع تفكك الاتحاد السوڤييتى لم تعترف الولايات المتحدة الأمريكية بهذه الدول على أساس أنها لم تعترف بالضم من قبل .

* أن الخلافات القائمة بين وجهتى النظر السوفييتية والأمريكية هى خلافات تكتيكية فقط حول بعض الوسائل والأساليب المتبعة فى التصدى لأى حركات إسلامية . وهى وسائل وأساليب لا تتفق فى بعض الأحيان مع المبادىء المظهرية المطاطة التى تنادى بها الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية مثل حقوق الإنسان على سبيل المثال .

* أن أى خلاف تم بين الاتحاد السوفييتى (سابقاً) والولايات المتحدة الأمريكية بخصوص القضية الأفغانية لم يكن من أجل سواد عيون الجماعات والمنظمات الإسلامية المناهضة للفكر الشيوعى بقدر ما كان محاولة لتحقيق أقصى استفادة من تورط محلى وقع فيه الطرف السوفييتى لصالح الصراع القائم بينهما من أجل بسط النفوذ على أكبر بقعة ممكنة فى العالم .

* وبناء على ما سبق إيضاحه فإن كل ما قيل عن المساعدات الغربية والأمريكية للجماعات والمنظمات الإسلامية فى أفغانستان هى نوع من الدعاية والمزايدة .. وحينما سئل عبد رب الرسول سياف رئيس الاتحاد الإسلامى لمجاهدى أفغانستان عن ما هى المساعدات التى تدفعها أمريكا للمجاهدين ؟ كانت إجابته : « هذه حرب بين المسلمين والشيوعية ، وهى ليست بين المسيحية وبين الشيوعية .. هى معركة بين الإسلام والشيوعية ، وإذا طلب من الصليبية أن تقف مع أحد الجانبين فإنها تقف بطبعها الكفرى مع الشيوعيين لا مع المسلمين .. نحن بناء على علمنا وأنا كمسئول عن الجهاد والاتحاد الإسلامى لمجاهدى أفغانستان أكلمكم بكل وضوح بأننا لم نحصل على قرش ولا على رصاصة واحدة من قِبَل أمريكا ولا من أى دولة غربية » .

* * *



الفصل الخامس

جذور الصراع

« انتهى عهد الظلام إلى الأبد » .

(الملك محمد ظاهر شاه)

وهو يضع الحجاب تحت قدمه

فى مؤتمر شعبى للثورة الثقافية

*   *   *

جذور الصراع

١ - وضع السوفييت استراتيجيتهم تجاه أفغانستان موضع التنفيذ وبصورة قوية وحاسمة حيث نجحوا فى عزل سكان أراضى تركستان عن سكان المناطق الشمالية الأفغانية ، فى نفس الوقت التى كانت الأجهزة السوفييتية الأخرى تعمل على نشر الأفكار الشيوعية داخل قطاع كبير من المثقفين الأفغان وتقوم بإعداد كوادر تؤمن بالفكر الشيوعى والماركسى داخل القوات المسلحة الأفغانية ، إضافة إلى ذلك كانت هناك وسائل ضغط أخرى لإخضاع أفغانستان للسياسة السوفييتية ومن أبرزها الضغوط الاقتصادية التى كانت غالباً ما تنجح فى تحقيق ما تعجز عنه وسائل الضغط الأخرى .

وعلى الرغم من أن الفكر الشيوعى العالمى قد تأخر فى الدخول إلى أفغانستان نحو عشرين عاماً كما سبق الإيضاح ، إلا أن هناك مجموعة من الاعتبارات الأخرى التى ساعدت على توغل هذا الفكر فى داخل أفغانستان ، ومن أبرز هذه الاعتبارات مستوى المعيشة المنخفض للفرد الأفغانى إضافة إلى تفشى الأمية بين قطاع عريض من الشعب [١] ونجاح الفكر الشيوعى فى استقطاب أعداد كبيرة من المثقفين والمتعلمين الأفغان .

٢ - وقد بدأ الصراع بين مبادىء وتعاليم الدين الإسلامى وبين الأفكار الشيوعية فى أواخر الخمسينات وأوائل الستينيات إبّان عهد الملك محمد ظاهر شاه الذى قاد ثورة ثقافية داخل البلاد استهدف بها القضاء على الكثير مما ينادى به الدين الإسلامى . وعلى الرغم من أن صحيفة « خلق » الشيوعية التى كان يقوم بإصدارها حزب الشعب الديمقراطى - وكانت تتهجم على الإسلام بصورة سافرة - قد تم مصادرتها فى عهد الملك محمد ظاهر شاه ، إلا أن ذلك لم يكن أكثر

(١) تصل نسبة الأمية فى أفغانستان إلى نحو ٧٠٪

من خلاف حول الوسائل وليس الأهداف خصوصاً بعد أن قام الملك محمد ظاهر شاه خلال إفتتاحه أول مؤتمر شعبى لثورته الثقافية بوضع حجاب المرأة المسلمة تحت قدمه قائلاً : « انتهى عهد الظلام إلى الأبد » .

٣ – وفى خلال تلك الفترة كان نشاط الجماعات الشيوعية المنظمة داخل الجامعة الأفغانية والتى أنشأها حزب الشعب الديمقراطى يزداد بصورة غير طبيعية . ومن الغريب أن هذا النشاط لم يقتصر فقط على نشر الفكر الشيوعى داخل الوسط الجامعى ، وإنما تعدى ذلك إلى مهاجمة مبادىء وتعاليم الإسلام بصورة سافرة ووصل الأمر إلى إعتبار مناسك وأركان الدين الإسلامى من العادات والتقاليد القديمة والبالية التى يجب أن تختفى من الحياة الأفغانية . وقد تميَّزت أنشطة هذه الجماعات داخل الجامعة الأفغانية بأنها أنشطة منسقة ومخططة بصورة جيدة حيث كان يتم تمويلها بإمكانيات تفوق إمكانيات الطالب الأفغانى ، إضافة إلى الكتب والنشرات والمجلات السوڤييتية التى كانت توزع بالمجان على كل مَنْ يطلبها .

٤ – على الجانب الآخر استرعى نشاط الجماعات الشيوعية المنظمة نظر أستاذ للحديث الشريف فى جامعة كابول يسمى غلام محمد نيازى [١] ، وأثار هذا النشاط فى نفس الأستاذ القلق والريبة خصوصاً وأن النشاط يقوى ويزداد يوماً بعد يوم وقافلة الغافلين تزداد وتنمو أيضاً ، فقرر الأستاذ القيام بتنظيم جهد إسلامى مضاد بهدف إيقاظ روح الإسلام فى نفوس طلأب الجامعة وأفراد الشعب الأفغانى وتبصير الأمة الأفغانية بأخطار الشيوعية العالمية التى نجحت فى الدخول إلى الساحة الأفغانية . ومن هنا بدأ غلام محمد نيازى فى تجنيد بعض طلأبه للعمل معه ، وقد انضم إليه كُلاً من عبد رب الرسول سياف وبرهان الدين ربانى [٢] وكثيرين غيرهم ، حيث بدأ الجميع العمل فى مجال الدعوة

(١) تخرج من جامعة الأزهر عام ١٩٥٥ وعُيِّن أستاذاً للحديث عام ١٩٥٩

(٢) من قادة المجاهدين الأفغان .

الإسلامية لتفنيد دعاوى الباطل الشيوعى . وعلى الرغم من أن جهد غلام محمد نيازى وطلأبه كانت له نتائج محدودة فى بادىء الأمر ، إلا أنه مع مرور الأيام بدأ الكثير من الطلاب وفئات الشعب الأفغانى فى التيقظ لما يحيط بها ، وتحولت اليقظة إلى روح وجهاد ، وأصبحت الساحة الأفغانية مهيأة لصراع قوى بين التيار الإسلامى والتيار الشيوعى .

٥ - وعلى الرغم من المشاكل الكثيرة التى أثارها حزب الشعب الديمقراطى الأفغانى لنظام حكم محمد ظاهر شاه الذى اضطر إلى تغيير الحكومة عام ١٩٦٩ وقيام الحكومة الجديدة بتزوير الانتخابات لمنع المعارضة من دخول البرلمان ومن ضمنها حزب الشعب الديمقراطى ، إلا أن هذه المشاكل كانت تتم بين حمام وصقور متفقين تماماً على الأهداف والنتائج وخصوصاً وأن الجماعات والمنظمات التى تمثل أدوات العمل لحزب الشعب الديمقراطى تُركت تمارس نشاطها الهدَّام دون أى تدخل من الحكومة أو من ملك أفغانستان حتى وصل الأمر ببعض الطلاب الشيوعيين فى أواخر عام ١٩٦٩ إلى تمزيق المصحف الشريف وإلقائه من النوافذ وشرفات مبنى الجامعة ، إضافة إلى القيام بعرض أفلام تهدف بالدرجة الأولى إلى الإساءة للإسلام والمسلمين ... وهكذا كان التناقض الحاد بين ما يدور فوق السطح وما يدور أسفله .

٦ - كانت ردود الفعل لدى الجماعات الإسلامية على ما حدث فى مبنى الجامعة الأفغانية هو المزيد من التماسك والالتفاف حول قيادتهم والقيام بتنظيم أنفسهم بصورة أفضل حيث تم تنفيذ بعض الإجراءات الهامة التى أعطت قوة دفع كبيرة للجماعات الإسلامية ومن أهم هذه الإجراءات :

* إصدار مجلة الشريعة التى تستهدف القيام بالرد على الافتراءات الشيوعية وتفنيد حججها . وقد لعبت هذه المجلة دوراً كبيراً فعلاً فى نشر وإيضاح مبادىء وتعاليم الإسلام الحقيقية الأمر الذى زاد من التفاف الشباب المسلم حول غلام محمد نيازى .

* تكوين جمعية الشباب المسلم التى كان لها ممثل فى كل كلية من كليات الجامعة الأفغانية . وقد نجحت هذه الجمعية أيضاً فى استقطاب العديد من الشباب الأفغانى المسلم إلى صف الجماعات الإسلامية .

٧ - بدأت بوادر الصراع العلنى تظهر إلى السطح عندما قامت أجهزة المخابرات الأفغانية بقتل أحد ممثلي جمعية الشباب المسلم بالسم وذلك عام ١٩٧٠ ، فى نفس الوقت الذى كانت فيه جميع أجهزة الإعلام الأفغانية قد أصبحت فى قبضة الجماعات الشيوعية . وفى عام ١٩٧٢ قامت الجماعات الإسلامية بمظاهرات عديدة للتنديد بالسيطرة الشيوعية على نظام الحكم الأمر الذى أدى لحدوث تصادمات بينهم وبين الجماعات الشيوعية حيث سقط بعض الطلاب الشيوعيين جرحى وقُتِل أحدهم ، فقامت السلطات الأفغانية باعتقال عدد كبير من أعضاء جمعية الشباب المسلم حيث قررت الجمعية بناء على ما حدث إعادة تنظيم نفسها فتم تغيير الاسم إلى « الجمعية الإسلامية » وتم اختيار برهان الدين رئيساً لها وعبد رب الرسول سياف مساعداً له ، بينما اقتضت الظروف الصحية للأستاذ غلام محمد نيازى أن يبتعد عن الأضواء ليمارس دوره من خلال كلية الشريعة التى كان قد أصبح عميداً لها منذ عام ١٩٦٨

٨ - وفى عام ١٩٧٣ نجح الطلبة المسلمين فى اكتساح انتخابات اتحاد طلاب جامعة كابول وهو الأمر الذى أثار فزع السفارة السوفييتية فتوالت التقارير إلى موسكو تشكك فى قدرة الملك ظاهر شاه فى السيطرة على البلاد حيث تم تدبير انقلاب عسكرى ضد نظام حكمه بواسطة قادة وضباط ذوو انتماء سياسى لجناح « بارشام » الشيوعى وتم تعيين محمد داود [1] رئيساً للجمهورية الأفغانية ، حيث بدأ عهده بمجموعة من الإجراءات التى تستهدف ضرب الحركة الإسلامية فى البلاد ، ومن أبرز هذه الإجراءات الآتى :

---

(١) ابن عم الملك محمد ظاهر شاه . تولى رئاسة الوزارة الأفغانية من عام ١٩٥٣ حتى عام ١٩٦٣ وهو شيوعى وعلمانى .

* القبض على الآلاف من الجماعات الإسلامية ومنهم قادة الجمعية الإسلامية كما قتل المئات من أعضائها .

* مصادرة جميع الجرائد والمجلات الإسلامية ومنعها من الصدور .

* وضع العراقيل أمام أداء مناسك الإسلام مثل بناء المساجد والسفر لأداء فريضة الحج ...... إلخ .

٩ – أثار الانقلاب العسكرى الذى تولى بناء عليه محمد داود رئاسة جمهورية أفغانستان ثائرة الضباط والجنود المسلمين فى الجيش الأفغانى خصوصاً وأن الانقلاب قد خُطِّط له من خارج البلاد ونُفِّذ بواسطة ضباط وقادة شيوعيين ، وبدأت الإتصالات بين الجمعية الإسلامية والضباط والجنود المسلمين الذين قاموا بتنظيم أنفسهم ودبروا لتنفيذ إنقلاب ضد حكم محمد داود . ومع فشل الإنقلاب هرب قادته ومجموعة كبيرة من أعضاء الجمعية الإسلامية إلى خارج الحدود فى إتجاه باكستان حيث تجمعوا فى منطقة بيشاور .

١٠ – ومن بيشاور انطلقت ثورة الجهاد الأفغانى ضد الشيوعية العالمية التى توطنت فى أفغانستان . وعلى الرغم من نقص الإمكانيات لدى المجاهدين الأفغان فى بيشاور ، إلا أن ذلك لم يقف عائقاً فى سبيل تنفيذ الكثير من العمليات العسكرية الناجحة التى فرضت عليها سلطات كابول ستاراً من السرية ، وقد كان من أبرز هذه العمليات الآتى بعد :

* نجاح مجموعة من شباب المجاهدين فى الاستيلاء على منطقة بنشير ، إلا أن الحكومة فى كابول نجحت فى استعادتها مرة أخرى .

* إغتيال بعض الشخصيات المهمة فى حزب الشعب الديمقراطى الأفغانى .

* إستقطاب الكثير من سكان منطقة الحدود الباكستانية لصالح حركة الجهاد الأفغانى .

١١ – وبعد تولى محمد نور تراقى حكم أفغانستان إثر الانقلاب الذى أطاح

بمحمد داود عام ١٩٧٨ قام باتخاذ مجموعة من الإجراءات التى تحمل الإساءة إلى الإسلام ، الأمر الذى عجَّل باجتماع لعلماء الإسلام في أفغانستان وقاموا بإصدار فتوى تُكَفِّر نور محمد تراقى وتوجب الجهاد ضده . وقد كان لهذه الفتوى أثر كبير فى قيام بعض القبائل باحتلال مدينة هرات حيث اجتمع ما يقرب من مائة ألف مسلم بها ، الأمر الذى قام معه نور تراقى بضربهم بالقوات الجوية فاستشهد نحو ٢٥٪ منهم . وهنا انفجرت الثورة فى أماكن عدة من أفغانستان وانضمت بعض الكتائب من القوات المسلحة الأفغانية إلى صفوف المجاهدين .

١٢ - ومع تولى بابراك كارمل حكم أفغانستان بعد الإطاحة بحفيظ الله أمين الذى خلف نور تراقى بإنقلاب عسكرى ، قام بالإفراج عن بعض المسجونين حيث كان من بينهم عبد رب الرسول سياف الذى نجح فيما بعد فى توحيد المنظمات والأحزاب الإسلامية الأفغانية . وتم اختياره رئيساً للاتحاد الإسلامى لمجاهدى أفغانستان الذى يضم المنظمات الآتية :

* منظمة الاتحاد الإسلامى القديم بقيادة عبد رب الرسول سياف .
* منظمة الجمعية الإسلامية بقيادة برهان الدين ربانى .
* منظمة الحزب الإسلامى بقيادة يونس خالص .
* منظمة جبهة الإنقلاب الإسلامى بقيادة نصر الله منصور .
* منظمة الحزب الإسلامى بقيادة غولب الدين حكمتيار [1] .
* منظمة جبهة الإنقلاب الإسلامى بقيادة رفيع الله مؤذن .
* منظمة جبهة نجاتى مل بقيادة محمد مير .

* * *

---

(١) لعب دوراً كبيراً فى استقطاب ضباط وجنود الجيش الأفغانى لصالح الجماعات الإسلامية وقام بتدبير الانقلاب الإسلامى ضد محمد داود وخطط لتنفيذ العمليات العسكرية الأولى من بيشاور .

الفصل السادس

ميزان القوى

﴿ إن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ ، وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ ﴾ (١)

« صدق الله العظيم »

* * *

(١) الأنفال : ٦٥

ميزان القوى

١ - فى أى صراع عسكرى ومهما كان الشكل القتالى الذى يتخذه هذا الصراع فإن هناك حد أدنى للفوارق بين القوى المستخدمة فيه حتى يكتب لهذا الصراع صفة الاستمرار إلى أن يستطيع أحد أطرافه أن يضع حداً له . وفى حالة الصراع الذى خاضه المجاهدون الأفغان لتحقيق أهدافهم الاستراتيچية نجد أن الفارق بينهم وبين الطرف أو الأطراف الأخرى فى الصراع كان أقل بكثير من المسموح به من وجهة النظر العلمية ، وذلك لإعطاء الصراع صفة الإستمرار وليس إمكانية تحقيق الأهداف منه . ومن هنا فإن النظر إلى مدلولات الأرقام والإحصاءات قد لا يكفى على الإطلاق للوصول إلى المبررات التى أدت إلى إستمرار الصراع نحو أربعة عشر عاماً بل والنجاح فى تحقيق المجاهدون لكافة أهدافهم التى أعلنوها حيث يتطلب الأمر هنا البحث فيما وراء الأرقام المباشرة للوصول إلى الأرقام غير المباشرة التى يعتبر استغلالها الجيد من أهم العوامل وراء تحقيق المجاهدون الأفغان لأهدافهم .

* *

٢ - حجم الأداة العسكرية لنظام الحكم فى كابول :

● القوات البرية :

* الوحدات والتشكيلات البرية :

- عدد ٣ قيادة فيلق .
- عدد ١١ فرقة مشاة .
- عدد ٣ لواء دبابات .
- عدد ٢ لواء جبلى .
- عدد ١ لواء مدفعية + ٣ فوج مدفعية .

- عدد ٣ فوج صاعقة .

- عدد ١ فوج مظلات .

* تعداد القوات البرية :

- القوات العاملة من . . . ر.٥ إلى . . . ر٥٥ مقاتل [١] .

- القوات الاحتياطية من . . . ر. .١ إلى . . . ر.١٥ (إجبارى حتى سن ٤٠) .

* الأسلحة والمعدات :

- عدد . .١٢ دبابة منها . .٣ دبابة حديثة والباقى قديم يعود للخمسينات وما قبلها .

- عدد . . . ١ مركبة قتال مدرعة ب . م ب + ب . ت . ر .

- عدد . . . ١ مدفع ميدان وهاون ثقيل ومتوسط .

- عدد ٧٥ قاذف صاروخى متعدد المواسير عيار ١٣٢ مم .

- أعداد كبيرة من الأسلحة المرافقة لأفراد المشاة خصوصاً المضادة للدبابات سواء أكانت مواسير عديمة الارتداد أو مقذوفات موجهة مضادة للدبابات .

- عدد .٣٥ مدفع مجرور مضاد للطائرات إضافة إلى عدد كبير من صواريخ الكتف المضادة أيضاً للطائرات .

● القوات الجوية :

* الوحدات والتشكيلات المقاتلة :

- عدد ٣ سرب مقاتلات اعتراضية ميج ٢١

- عدد ٧ سرب مقاتلات هجوم أرضى ميج ١٧ + ميج ١٩ + سوخوى ٧ .

---

(١) التفاوت فى التقدير ناتج عن المجندين الذين هربوا من الخدمة وانضموا للمجاهدين .

– عدد ٣ سرب قاذفات خفيفة أليوشين ٢٨

– عدد ٢ سرب نقل أنتينوف + اليوشين ١٨٥

– عدد ٤ سرب طائرات عمودية مى ٤ + مى ٨ + مى ٢٤

– مجموعة من طائرات التدريب .

* تعداد القوات الجوية :

– القوات العاملة نحو . . . ٨ مقاتل .

– القوات الاحتياطية نحو . . . ٨ مقاتل .

* الأسلحة والمعدات :

– عدد ٣٢ طائرة ميج ٢١

– عدد ٤٨ طائرة ميج ١٧

– عدد ٢٤ طائرة ميج ١٩

– عدد ١٥ طائرة سوخوى ٧

– عدد ٢٤ طائرة أنتينوف .

– عدد ٢٤ طائرة أليوشين ١٨٥

– عدد ٣٢ طائرة عمودية مى ٤ + مى ٨ + مى ٢٤

– عدد كبير من طائرات التدريب وأغلبها ياك ١٨ + ل ٢٩ س .

● القوات البحرية :

لا تمتلك أفغانستان أى قوات بحرية بحكم موقعها الجغرافى الذى لا يطل على أى بحار أو محيطات .

● قوات الدفاع الجوى [1] :

* الوحدات والتشكيلات :

- لواء رادار (٣ كتيبة رادار)
- فرقة صواريخ أرض / جو سام ٢ + سام ٣ .
- لواء مدفعية مضادة للطائرات .

* تعداد قوات الدفاع الجوى :

- القوات العاملة . . ٦٠٠ فرد مقاتل .
- القوات الاحتياطية . . ٦٠٠ فرد مقاتل .

* الأسلحة والمعدات :

- ١٢٠ صاروخ سام ٢
- ١١٥ صاروخ سام ٣
- عدد كبير من المدافع المضادة للطائرات عيار ٣٧ مم + ٨٥ مم + ١٠٠ مم.

● القوات النظامية :

وهى تشمل المليشيات الحزبية والشبابية كالآتى :

* مليشيا حزب الشعب الديمقراطى الحاكم ويقدر تعدادها بنحو ٥٠ ألف وهى مقسمة إلى الآتى :

- مليشيا « خالقى شباب » وتعدادهم نحو ٢٥ ألف .
- مليشيا « قبائل باشتون » وتعدادهم نحو ٢٥ ألف .

* مليشيا عسكرية وهى تشمل قوات حرس الحدود وقوات جهاز المخابرات ويصل تعدادها نحو ١٠٠ ألف .

● القوات شبه النظامية :

وتشمل قوات الشرطة المدنية وحيث يصل تعدادها فى أفغانستان إلى نحو ٣٥ ألف .

* *

---

(١) يعتبر الدفاع الجوى فرعاً رابعاً من أفرع القوات المسلحة فى العقيدة الشرقية التى كان يأخذ بها الجيش الأفغانى .

٣ – قوات المجاهدون الأفغان :

مما لا شك فيه أن قوات المجاهدين تتصف بمواصفات خاصة تميزها عن غيرها من القوات الثائرة ، وأبرز هذه المواصفات الآتى بعد :

* أن طليعة القوات المقاتلة أساساً هو الشعب الأفغانى الذى انطلق بصورة تلقائية دفاعاً عن عقيدته الإسلامية ، ثم انضم لهذه الطليعة بعد ذلك أفراد القوات المسلحة الثائرون على توطن الشيوعية داخل الأراضى الأفغانية . ومن هنا فإن حركة الجهاد الإسلامى تختلف تماماً عن غيرها من الحركات الأخرى مثلما حدث فى ڤيتنام وكوريا والجزائر .

* بناء على الموضح أعلاه فإن البناء المدنى كأساس للمقاومة الأفغانية قد أثر بشكل كبير على قدرة القيادة الاستراتيجية فى نواحى التنظيم والتنسيق ، إضافة للنواحى الإدارية الأخرى .

* إفتقار حركة الجهاد الأفغانى إلى الحليف القوى [١] الذى يُؤَمِّن الإمداد بالسلاح والمعدات خصوصاً خلال المراحل الأولى للمقاومة والتى نجح النظام الحاكم فى كابول فى عدم تسريب أخبارها .

● بناء على النقطة السابق إيضاحها فإن تقديم أرقام دقيقة عن تعداد وتسليح قوات المجاهدين الأفغان يعتبر أمر شبه مستحيل خصوصاً وأن هذه الأرقام غير متيسرة أساساً لقادة قوات مجاهدى أفغانستان ، ومن هنا يمكن أن نتناول المصادر التى تعتمد عليها المقاومة الأفغانية للحصول على الأفراد والسلاح .

● مصادر القُوَى البَشرية للمجاهدين الأفغان :

وتنحصر هذه المصادر فى الآتى :

* الشباب الأفغانى المسلم المتمسك بدينه وعقيدته والذى لعبت جمعية الشباب المسلم ثم الجمعية الإسلامية دوراً رئيسياً فى إيقاظ وعيه وروحه .

---

(١) لا تعتبر باكستان حليفاً قوياً نسبياً إذا نظرنا إلى الاتحاد السوڤييتى سابقاً والصين الشعبية فى حالة ڤيتنام .

* القادة والضباط والجنود الفارين من القوات المسلحة الأفغانية ، ويعتبر هذا المصدر من المصادر المهمة التى تضفى المزيد من القوة على قوات المجاهدين الأفغان نظراً لما يتمتع به هؤلاء الأفراد من خبرة عسكرية تعتبر ذات قيمة عالية وسط الأفراد غير المدربين .

* المتطوعون من الدول الإسلامية الأخرى سواء القريبة من أفغانستان أو البعيدة عنها ، ورغم أن هذا المصدر يعتبر أقل المصادر على وجه الأطلاق إلا أن القلة القليلة التى انضمت من خلاله للمجاهدين الأفغان قد أسهمت بجهد عظيم فى تحقيق الانتصارات التى أحرزها المجاهدين الأفغان .

● مصادر الأسلحة والمعدات للمجاهدين الأفغان :

وتنحصر فى الآتى :

المصدر الأول : وهو قيام قادة المجاهدين بشراء الأسلحة والمعدات من سوق السلاح العالمى أو عن طريق وسطاء وتجار سلاح [١] مع قيام بعض الدول الإسلامية والعربية بتمويل ثمن هذه الصفقات .

المصدر الثانى : المساعدات العسكرية التى تقدمها بعض الدول الإسلامية خصوصاً دولة باكستان فى عهد الرئيس محمد ضياء الحق وإن كان بعض المراقبين يرى أن أغلب ما قُدِّم للمجاهدين عن طريق باكستان كان بتمويل أمريكى خصوصاً بعد مرحلة تدخل القوات السوفييتية فى أفغانستان .

المصدر الثالث : وهو ما يتم الحصول عليه من الجانب الآخر فى الصراع ، ورغم أن هذا المصدر قد لا يكون أساسياً بالنسبة لبعض الحركات المشابهة لحركة الجهاد الأفغانى إلا أنه فى حالتنا هذه يمثل هذا مصدراً هاماً خصوصاً لنوعيات الأسلحة الخفيفة والصغيره .

المصدر الرابع : وهو ما يقوم المجاهدون الأفغان بتصنيعه بأنفسهم .

---

(١) أغلبهم ذو جنسية باكستانية .

وهذا المصدر قدّم نوعيات محدودة من الأسلحة المستخدمة مثل القنابل والألغام والمتفجرات .... إلخ .

● أبرز الأسلحة المستخدمة من قِبَل المجاهدين الأفغان :

من المنطقى أن تتصف الأسلحة والمعدات التى يستخدمها المجاهدون الأفغان بخفة الوزن وسهولة الفك والتركيب ، وذلك كى تتلاءم مع طبيعة مسرح العمليات الجبلى الذى يمثل جزءاً كبيراً من مساحة دولة أفغانستان ، ومن أبرز الأسلحة التى استخدمها المجاهدون الأفغان الآتى بعد :

* فى مجال الأسلحة المستخدَمة ضد الأفراد هناك الآتى :

– الأسلحة الصغيرة والخفيفة مثل بنادق كلاشينكوف .

– صواريخ أرض/أرض (النوع الغالب عليها هو الصواريخ المصرية صقر ٢٠ + صقر ٣٠ + صقر ٣٦ إضافة إلى صواريخ الكاتيوشا) .

– الهاون عيار ٦٠ مم + عيار ٨١ مم .

– المدفعية ، ولا يمتلك منها المجاهدون الأفغان إلا أعداداً قليلة .

* فى مجال أسلحة التعامل مع الأهداف المدرعة هناك الآتى :

– القاذف الصاروخى المحمول من الكتف ر . ب . ج ٧ (يمثل هذا السلاح التسليح الرئيس للتعامل مع الدبابات والمركبات المدرعة والسيارات .

– المدافع عديمة الارتداد عيار ٨٢ مم + ١٠٧ مم (يمكن استخدام هذه الأسلحة فى تدمير تجمعات الأفراد) .

– صواريخ الميدان الموجهة بالسلك ، ويمتلك المجاهدون منها أعداد قليلة .

* فى مجال أسلحة التعامل مع الأهداف الجوية هناك الآتى :

– الرشاشات المتوسطة عيار ٥ ر١٤ مم ، وعيار ٧ ر١٢ مم ، وعيار ٦٢ر٧ مم .. وتمثل هذه الرشاشات الجزء الأغلب من هذا النوع من التسليح نظراً

لإمكانية استخدام هذه الرشاشات ضد الأهداف الأرضية إضافة لملاءمتها للمسرح الجبلى بصورة جيدة .

- صواريخ الكتف أرض/جو مثل صواريخ ستنجر الأمريكية ، وبلوبايب الإنجليزية ، وسام ٧ السوفييتية ، وعين الصقر المصرية .

* *

٤ - عناصر القوة والضعف لقوات النظام الحاكم فى كابول :

● نقاط القوة :

ويمكن إيجازها فى الآتى بعد :

* المساندة والدعم من حليف قوى (الاتحاد السوفييتى سابقاً) وهو الأمر الذى أتاح لنظام كابول إمكانية الاستمرار فى القتال ، وقد ساعد على بروز هذه المزية قرب هذا الحليف القوى من الموقع الأفغانى ، الأمر الذى أضفى المزيد من السرعة مع قلة التكاليف للدعم المقدم وكلها أمور هامة فى مثل هذا النوع من الصراع .

* اعتماد نظام الحكم فى كابول على قوات عسكرية نظامية وشبه نظامية وكلها قوات تتمتع بكفاءة قتالية عالية ومدربة بصورة جيدة فى إطار بناء تنظيمى سليم من وجهة النظر العلمية . كما تقود هذه القوات قيادات عسكرية محترفة .

* التفوق الكمى والنوعى فى الأسلحة والمعدات مقارنة مع ما تستخدمه حركة الجهاد الأفغانى من أسلحة قليلة وغير متطورة .

* إمتلاك إمكانيات مادية وبشرية ذات مصادر ثابتة ومحددة تساعد على التخطيط السليم لتحقيق أفضل استخدام لتلك الموارد المتيسرة .

● نقاط الضعف :

ويمكن إيجازها فى الآتى بعد :

* رغم الحجم الكبير فى القوات والأسلحة والمعدات الذى يتمتع به الجيش الأفغانى إلا أن طبيعة مسرح العمليات لا تتلاءم مع الاستخدام الأمثل لهذه

القوات ، لذلك نجد أن النظام الحاكم فى كابول استخدم قواته بالدرجة الأولى فى عمليات التأمين فقط تاركاً باقى إمكانيات القوات المسلحة بصورة اضطرارية وغير قادر على الاستفادة منها .

* ضعف الولاء لدى جزء كبير من أفراد القوات المسلحة وقيامهم بالهروب والفرار للانضمام لقوات المجاهدين حتى إن الكثير من الدراسات والتقارير قد أجمعت على أن هؤلاء الأفراد الهاربين قد شكّلوا مصدراً هاماً من مصادر القوة البَشرية للمجاهدين الأفغان .

* ضعف التأييد الشعبى لنظام الحكم الأفغانى وهو الأمر الذى استفادت منه قوات المجاهدين الأفغان خصوصاً فى مجالات جمع المعلومات وتبليغها ، تقديم العون والمساندة لأفرادها ..... إلخ .

* العلاقات السيئة بين نظام كابول والدول المجاورة (فيما عدا الاتحاد السوفييتى سابقاً) وخصوصاً الدول الإسلامية المجاورة الأمر الذى أتاح لقوات المجاهدين إمكانية الحصول على قاعدة للانطلاق منها .

* *

٥ - عناصر القوة والضعف للمجاهدين الأفغان :

● نقاط القوة :

* قوة العقيدة القتالية المنطلقة من مفهوم الجهاد الإسلامى مع استعداد تام للشهادة فى سبيل الله من أجل تحقيق الهدف المحدَّد من قِبَل قيادة قوات المجاهدين .

* الاستفادة التامة من طبيعة المسرح فى تنفيذ القتال بأساليب حروب العصابات وهى أساليب يمكن أن يستوعبها الفرد المقاتل بصورة سريعة .

* إن الأسلحة الملائمة والمناسبة لطبيعة مسرح العمليات تتصف كما سبق

الإيضاح بأنها أسلحة خفيفة سهلة الفك والتركيب والحمل .... إلخ ، ومثل هذه الأسلحة متوفرة بصورة كبيرة فى السوق العالمية للسلاح إضافة إلى أن جزءاً كبيراً منها يُصنّع فى دول متعاطفة مع قوات المجاهدين الأفغان وهو الأمر الذى مكّن هذه القوات من الاستمرار فى عمليات القتال لسنوات طويلة .

* اتباع أساليب قتال سهلة وبسيطة أدى سرعة استيعابها إلى سرعة إعداد وتجهيز الأفراد لأعمال القتال وبالتالى دفعهم لتنفيذ عمليات قتالية بعد فترة وجيزة من الزمن .

* القيام بتصنيع بعض الأدوات والأسلحة القتالية ذات التأثير على شكل القتال الدائر والأساليب المستخدمة مثل القنابل والألغام .... إلخ .

● نقاط الضعف :

ويمكن إيجازها فى الآتى :

* إفتقاد المجاهدون الأفغان إلى القيادة العسكرية المحترفة التى تقود العمل القتالى طبقاً للمبادىء والأسس القتالية وقد ترتب على هذا البند الآتى :

– عدم وجود أهداف مرحلية تقود إلى الأهداف النهائية الإستراتيجية المحددة ، (وجود مثل هذه الأهداف يلعب دوراً كبيراً فى إمكانية إيجاد تخطيط قتالى سليم) .

– ضعف السيطرة على القوات ، وقد ساعد على ذلك بدرجة كبيرة سيطرة النظرة القَبلية على بعض المناطق ، الأمر الذى أدى إلى تعدد القيادات بصورة غير سليمة .

– صعوبة وضع تنظيمات مقاتلة تتلاءم وطبيعة المسرح الجبلى .

* إفتقاد المجاهدون الأفغان إلى القوات المدربة ذوو الخبرة العسكرية والقتالية وقد ترتب على هذا البند الآتى بعد :

– ضعف الضبط والربط الذى يعتبر عماد أى قوات تقوم بتنفيذ المهام القتالية .

– ضعف الإلمام بإجراءات الأمن العسكرى وصعوبة السيطرة على العناصر التى تعمل لصالح نظام الحكم فى كابول وتتسلل داخل صفوف المجاهدين .

– ضعف الأساليب القتالية الأخرى غير المتبعة فى قتال المناطق الجبلية مثل أساليب الهجوم على المناطق المبنية والمدن وأساليب تأمينها والدفاع عنها .

* تعدد مشاكل الإمداد والتزويد خصوصاً فى فصل الشتاء حيث تمثل الثلوج عائقاً أمام استخدام وسائل النقل المتاحة والمناسبة للمناطق الجبلية مثل الدواب والأنعام .

* * *

الفصل السابع

المستنقع الأفغانى

« لا أستطيع أن أرسل قوات للقتال معكم إلى الخليج لأنى وعدت الشعب السوفييتى ألا أرسل شبابه خارج حدود الاتحاد السوفييتى بعد مأزق أفغانستان »

(ميخائيل جورباتشوف - لجورج بوش)

هلسنكى فى سبتمبر عام ١٩٩٠

* * *

المستنقع

أولاً – عام :

١ – يمكن القول أن البداية الحقيقية للجهاد الأفغانى كانت عام ١٩٧٣ وذلك عندما فشل الانقلاب الذى خططت له الجمعية الإسلامية بالاشتراك مع ضباط وجنود يدينون لها بالولاء داخل الجيش الأفغانى ثم هروب قادة الإنقلاب بعد فشله إلى بيشاور فى باكستان . ولا شك أن الدافع الحقيقى وراء ظهور حركة الجهاد الأفغانى هو الدفاع عن القيم والتعاليم الإسلامية المترسخة فى نفوس الغالبية العظمى من الشعب الأفغانى إضافة إلى مجموعة أخرى من الدوافع الثانوية والتى ينحصر أكثرها فى التدخل الشامل من قِبَل الدولة فى كل شئون الحياة الأفغانية تطبيقاً للأفكار الشيوعية التى يؤمن بها النظام الحاكم فى كابول .

٢ – فرضت سلطات النظام الحاكم فى كابول ستاراً من السرية حول العمليات التى كانت تنفذها قوات الجهاد الأفغانى ، إلا أنه ومع النصف الأول من عام ١٩٧٨ كانت حركة الجهاد تتسع من مكان لآخر حيث بدأت بصورة علنية فى منطقة نوريستان المجاورة لمنطقة بيشاور الباكستانية التى هربت إليها الجماعات الإسلامية من قبل . ثم انتشرت بعد ذلك فى منطقة هزارجات ثم إلى تاجيك وشمال هندوكاش إلى أن وصلت فى بداية عام ١٩٧٩ إلى إقليم هراة وباكتيا . وفى خلال هذه الفترة استطاع المجاهدون الأفغان تحقيق نتائج كبيرة أقلقت النظام الحاكم فى كابول ... ومن هذه النتائج الآتى بعد :

* استطاعت قوات الجهاد الأفغانى أن تسيطر على الغالبية العظمى من الريف الأفغانى وأصبح النظام الحاكم لا يسيطر إلا على المدن الكبيرة والطرق الرئيسية .

* قطع العديد من الطرق الرئيسية لفترات طويلة وتكبيد القوات الحكومية خسائر عديدة سواء فى القُوَى البَشرية أو المعدات والأسلحة .

* استقطاب أعداد كبيرة من الجيش الأفغانى إلى صفوف حركة الجهاد الأفغانى ومعهم أسلحتهم ومعداتهم . وتقدر بعض المصادر هذه الأعداد بحوالى ٤٠٪ من قوات الجيش الأفغانى .

* الاستيلاء على بعض المراكز الاستراتيچية الهامة لفترات طويلة وتكبيد القوات المدافعة عنها خسائر كبيرة وفادحة .

* *

ثانياً - مبررات الغزو السوڤييتى :

١ - إتساع حركة الجهاد الأفغانى :

فمن المؤكد أن انتشار العصيان المسلح داخل أفغانستان واتساع نطاق عمل قوات المقاومة الأفغانية قد تسبب فى قلق للاتحاد السوڤييتى (سابقاً) والذى كان على علم تام بشكل الأوضاع الداخلية فى أفغانستان على الرغم من التعميم الإعلامى الذى كانت تتميز به هذه الفترة ، ومن الأحداث البارزة التى كان لها تأثير كبير على الاتحاد السوڤييتى :

* فى ٢٤ مارس عام ١٩٧٩ تمردت كتيبة مشاة فى هراة ضد مجموعة من المستشارين السوڤييت التى أمرت الجنود الأفغان بإطلاق النار على المتظاهرين ضد الحكومة . وقد قُتِل عدد من المستشارين مع عائلاتهم .

* أخذ الشعور المعادى لحكومة كابول فى الاتساع بصورة قوية فى عدة أقاليم أفغانية وعلى رأسها إقليم بدخشان المتاخم للحدود السوڤييتية .

* مع الخوف من استمرار التمرد بين وحدات القوات المسلحة توسعت حكومة كابول فى استخدام طائرات القوات الجوية فى قصف القرى والمدن المتمردة على النظام وقد شارك طيارون سوڤييت فى قيادة هذه الطائرات ، الأمر الذى زاد من تعاطف الشعب الأفغانى مع حركة المقاومة .

* فى شهر يونيو عام ١٩٧٩ استطاعت مجموعة من المجاهدين أن تهاجم

مركزاً للشرطة العسكرية فى كابول وإن تكبد المدافعون عنه خسائر كبيرة ، وقد كان هذا العمل بمثابة الإنذار للاتحاد السوفييتى (سابقاً) بأن المقاومة الأفغانية تنتقل من القرى والمدن الصغيرة إلى المدن الكبيرة والعاصمة .

٢ - الخلاف بين حفيظ الله أمين والاتحاد السوفييتى (سابقاً) :

على الرغم من أن حفيظ الله من مؤسسى حزب الشعب الديمقراطى الأفغانى إلا أن علاقته بالاتحاد السوفييتى (سابقاً) لم تكن على ما يرام وذلك لعدة أسباب منها :

* إن حفيظ الله أمين كان الرجل الأقوى والمسيطر على إدارة شئون البلاد فى عهد الرئيس محمد نور تراقى . ورغم علم السوفييت التام بذلك إلا أنهم فضّلوا التعامل مع تراقى متجاهلين أن حفيظ الله هو الزعيم الفعلى .

* فى اكتوبر عام ١٩٧٩ اتهم حفيظ الله أمين السفير السوفييتى فى أفغانستان بالتخطيط للإطاحة بنظامه وإثارة الفتن ، وفى ديسمبر من نفس العام هرّب عدد من أتباع تراقى إلى الاتحاد السوفييتى (سابقاً) .

* لم يكن حفيظ الله أمين من أنصار سياسة إعتماد أفغانستان اعتماداً كلياً على الاتحاد السوفييتى (سابقاً) خصوصاً فى المجال الاقتصادى والعسكرى ، وكان يرى أن ذلك يحوّل الاتحاد السوفييتى من صديق وحليف إلى مستعمر ومهيمن على الأمور فى أفغانستان .

* وعد حفيظ الله أمين الشعب الأفغانى بالكثير من الإصلاحات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ونفّذ مجموعة من الإجراءات التى أثارت غضب القيادة السياسية السوفييتية مثل محاولة التقرب إلى الجماعات والمنظمات الإسلامية لوقف إتساع أعمال المقاومة ومحاولة استبدال قوة البوليس السرى الأفغانى بقوة أمن أخرى أطلق عليها اسم مخابرات العمال .

* ثم كانت القشة التى قصمت ظهر البعير عندما زاد « س . بابورتين » المدير السوفييتى للشئون الأمنية الدولية كابول ومعه فريق من المستشارين

السوفييت الذين حاولوا إعادة تنظيم البوليس الأفغانى السرى إلا أن حفيظ الله أمين رفض السماح لهم بذلك .

* *

ثالثاً – التدخل السوفييتى فى أفغانستان :

١ – فى ٢٧ ديسمبر عام ١٩٧٩ تدخلت القوات السوفييتية فى أفغانستان وقامت بحصار مدينة كابول وسيطرت على الأماكن والمراكز المهمة وقامت بتنفيذ الإجراءات الآتية :

* القبض على حفيظ الله أمين وعائلته وتنفيذ حكم الإعدام فيهم .

* تعيين بابراك كارمل رئيساً للجمهورية الأفغانية بدلاً من حفيظ الله أمين .

* تشكيل حكومة جديده أغلب وزرائها من أتباع نور محمد تراقى الذين هربوا إلى الاتحاد السوفييتى .

٢ – أرسل ليونيد بريچينيف سكرتير عام اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى برقية تهنئة إلى بابراك كارمل بمناسبة تعيينه رئيساً للجمهورية الأفغانية وأميناً عاماً لحزب الشعب الديمقراطى الأفغانى .

٣ – وفى ١٣ يناير عام ١٩٨٠ أعلن ليونيد بريچينيف أن التدخل السوفييتى فى أفغانستان كان استجابه لمناشدة حكومة صديقه ، وهدفه مواجهة تدخل القوى الأجنبية .

٤ – وعندما فكر السوفييت فى دخول أفغانستان وضعوا نصب أعينهم الدروس المستفادة من العمليات الأخرى المماثلة وعلى الأخص التدخل الأمريكى فى ڤيتنام . لذلك كانت الاعتبارات الآتية ذات اهتمام خاص :

* التحديد الدقيق للأهداف والمراكز والطرق الهامة التى سوف يتم التمسك بها والدفاع عنها .

* حجم القوات اللازم لتنفيذ إجراءات التأمين الفعلية للأهداف والمراكز والطرق المحددة .

* حجم القوات اللازم للعمل كاحتياطى مع مراعاة وضع أسبقية أولى لاستخدام مصادر النيران كرد فعل سريع على عمليات المقاومة الأفغانية يمكن من خلالها الاقتصاد في القوات .

* مراعاة الفارق فى الكفاءة القتالية بين القوات السوفييتية والقوات الأفغانية الحكومية من جانب ، ثم قوات المقاومة الأفغانية من جانب آخر .

* مراعاة التكلفة الاقتصادية بحيث لا تشكل حجم القوات المستخدمة فى أفغانستان أى ضغوط قوية على الاقتصاد السوفييتى .

٤ - بناء على ما تم إيضاحه - أعلاه - أرسل الاتحاد السوفييتى القوات الآتية للتدخل العسكرى فى أفغانستان .

● حجم القوات السوفيتية :

قُدِّرت القوات السوفييتية فى بداية الغزو بنحو ٨٥ - ٩٠. ألف جندى سوفييتى فى إطار التنظيم الآتى :

* عدد ٤ فرق مشاة آلية

* عدد ٤ فرق مشاة .

* فرقة محمولة جواً .

* ٢ لواء جوى .

* قيادة للقوات .

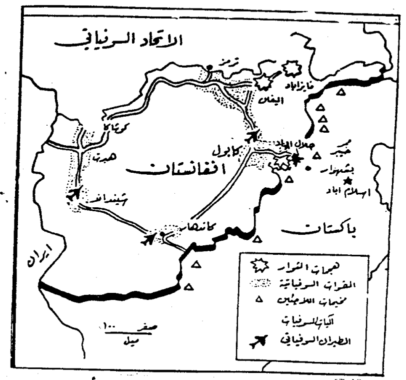
● أوضاع القوات :

* قيادة القوات فى كابول .

* الفرق الآلية فى هراة وقندهار .

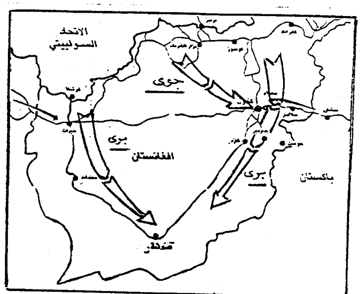
* الفرق المشاة فى كابول .

* القوات الجوية فى مطارات كابول - قندهار - شينداند .



شكل رقم (٥) أوضاع القوات السوفييتية فى أفغانستان

● طرق الإمداد : كما بالشكل رقم (٦)



شكل رقم (٦) طرق إمداد القوات السوفييتية

الفصل الثامن

أساليب القتال

« وببساطة هم لا يعرفون عادة الخضوع » .
(الكاتب الفرنسى : چيرار شاليان)
فى تقريره عن المقاومة الأفغانية

* * *

أساليب القتال

أولاً - عام :

تعمدتُ خلال الاستعراض السابق لنشأة المقاومة الأفغانية ألا أتعرض للأساليب القتالية التى كان يستخدمها المجاهدون الأفغان ضد نظام الحكم فى كابول على أساس أن هذه الأساليب كانت تمثل المرحلة الأولية فى قتالهم وهى أساليب تطورت بعد ذلك لكى تتناسب مع طبيعة العدو السوفييتى المسلح والمجهز بأحدث الأسلحة والمعدات . ويجب هنا ونحن نتناول هذه الأساليب القتالية ألا تغيب عن أذهاننا نقاط الضعف والقوة التى سبق الإشارة إليها من قبل لكى يمكن لنا الوصول إلى الأسباب الحقيقية وراء نجاح المجاهدون الأفغان فى تحقيق أهدافهم المعلنة . وهنا يمكننا القول - بصفة عامة - أن أساليب القتال التى نفذها المجاهدون كانت تتشابه كثيراً مع أساليب قتال العصابات وأساليب قتال الفدائيين [1] وهى أساليب تتفق تماماً مع طبيعة مسرح قتالى تمثل الجبال فيه جزءاً كبيراً ، إضافة إلى أن الكثير منها يعتمد على المهارات الفردية للفرد المقاتل . ومن جهة أخرى فإن هذه الأساليب رغم ما تتسم به من بساطة فإنها تحتاج إلى نوعية خاصة من المقاتلين يجب أن تتوفر فيهم كل قِيَم المقاتل العظيم وهى قِيَم تنقل المقاتل من فرد يمارس نشاط إنسانى متعارَف عليه إلى مجاهد من وجهة نظر الدين الإسلامى الذى تؤمن به قوات المقاومة الأفغانية وحيث كان هدفهم النهائى يتمثل فى إقامة دولة إسلامية فى أفغانستان بعد طرد القوات السوفييتية وإسقاط نظام الحكم الشيوعى هناك .

* *

(١) يطلق عليهم فى الجيوش الحديثة القوات الخاصة أو الصاعقة .

ثانياً – أساليب القتال للمجاهدين الأفغان :

١ – أساليب القتال بالقوات : وهى أساليب تنفذ بواسطة مجموعات من المقاومة الأفغانية وتتصف بضرورة تحقيق المفاجأة والسرعة فى التنفيذ وأيضاً السرعة فى التخلص من المعركة تجنباً للخسائر خصوصاً وأن العدو غالباً ما يكون أكثر عدداً وعُدّة ، ومن هذه الأساليب الآتى بعد :

● **الكمائن :**

وهى عبارة عن مجموعة من الأفراد تقوم باحتلال موقع أو مكان مخفى بصورة جيدة ويسيطر على طريق أو عدة طرق أو أرض صالحة للتحرك مع القيام بالتعامل مع الهدف من خلال نيران مفاجئة ، ثم عملية اقتحام سريعة له لتنفيذ هدف الكمين والعودة أو الانسحاب السريع من منطقة الكمين ، ويلاحظ هنا أن هذا الأسلوب استخدمته قوات المقاومة الأفغانية فى البداية ضد قوات النظام الحاكم فى كابول باستخدام الأسلحة الصغيرة والخفيفة ثم بعد الغزو السوفييتى توسعت قوات المقاومة فى استخدام الصواريخ المضادة للدبابات والآليات وأيضاً الصواريخ المضادة للطائرات وحققوا من خلال هذا الأسلوب نتائج عظيمة .

● **الإغارة :**

وهى عملية اقتراب لمجموعة من الأفراد نحو هدف محدد بغرض القيام بهجوم مباغت وسريع لتكبيده خسائر والاستيلاء على أسلحة ومعدات وأفراد . وقد ركزت المقاومة الأفغانية على تنفيذ هذا الأسلوب ضد الأحزمة الأمنية المقامة حول المدن والقرى والمراكز والأهداف الهامة ونجحت المقاومة الأفغانية من خلال هذا الأسلوب فى تكبيد القوات الحكومية – ثم الحكومية والسوفييتية – خسائر كثيرة واستولوا على العديد من الأسلحة والمعدات والأسرى حتى إن تقارير معظم المراقبين أجمعت على أن حجم الأسلحة والمعدات والذخائر المستولى عليها كانت تمثل مصدراً هاماً من مصادر تسليح قوات المقاومة الأفغانية .

● **التمسك بالأراضى المكتسبة والمحررة :**

وهذا الأسلوب يعتمد بالدرجة الأولى على قيام قوات المقاومة الأفغانية بصد الهجمات المضادة التى تنفذها القوات الحكومية أو السوفييتية أو كلاهما

بهدف استعادة منطقة أو مركز أو مدينة استولى عليها المجاهدون الأفغان من خلال عمليات هجومية مباغتة أو عمليات إغارة كبيرة .

● الهجوم المباغت :

وهذا الأسلوب عبارة عن عمليات تُشَن ضد مراكز وأهداف هامة غالباً ما تكون منعزلة أو مُدَافَع عنها بقوات قليلة نسبياً بهدف اكتساب المزيد من الأراضى والمناطق وتحريرها وإخضاعها لسيطرة قوات المقاومة الأفغانية .

٢ - أساليب القتال بالنيران : وهذه الأساليب تعتمد أساساً على استخدام مصادر النيران بهدف استنزاف قوات العدو وإنزال أكبر خسائر ممكنة به وإجباره على ترك المنطقة التى يتواجد بها إن أمكن ، ومن هذه الأساليب الآتى بعد :

● كمائن الألغام المضادة للأفراد والدبابات والآليات :

وهذا الأسلوب يعتمد على زرع الألغام بأنواعها فى الأماكن والطرق المستخدمة من قِبَل العدو بهدف إحداث خسائر فيه ، وقد تدرجت قوات المقاومة الأفغانية فى استخدام هذا الأسلوب حيث استخدمت فى البداية ألغام بسيطة مضادة للأفراد وألغام ذات تأثير ضعيف مصنوعة محلياً ضد القوات الحكومية ، وعندما تدخلت القوات السوفييتية توسعت قوات المقاومة الأفغانية فى استخدام الألغام القوية المتطورة إضافة لأعمال التفجير المتقدمة ، وقد استخدمت قوات المقاومة الأفغانية هذا الأسلوب بكثرة على الطرق التى تتحرك عليها الدوريات الراكبة سواء أكانت حكومية أو سوفييتية وداخل أماكن تجمع القوات المعادية الأمر الذى أحدث بها خسائر جسيمة .

● القصف الصاروخى والمدفعى للأهداف الهامة :

ويعتمد هذا الأسلوب على استخدام مصادر النيران المتوسطة والثقيلة فى إنتاج نيران كثيفة على أهداف محددة بغرض إنزال أكبر قدر ممكن من الخسائر بهذه الأهداف ، وقد لعبت الصواريخ أرض/أرض دوراً كبيراً فى النتائج التى حققتها قوات المقاومة الأفغانية من خلال استخدام هذا الأسلوب .

* *

ثالثاً - الجهاد وقيَم القتال :

١ - يقول الكاتب الفرنسى « چيرار شاليان » فى تقرير له عن أفغانستان « وافتخاراً بتقاليدهم المستقلة ، واندفاعاً بمثلهم القتالية ، يواصل الفدائيون الأفغان القتال ضد الغرباء الذين يضطهدون شعوباً أخرى ، وببساطة هم لا يعرفون عادة الخضوع . وكان التدخل السوڤييتى فى ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩ المحاولة الأولى منذ الحروب « الأفغانية / الإنجليزية » التى تسببت بها محاولات القُوَى الأجنبية للسيطرة على أفغانستان بقوة الاحتلال المسلح . ويواصل الثوار قتالهم ضمن الشكل المتوهج للمحاربين القَبليين التقليديين مظهرين نوعاً من البطوله الشخصية » .

٢ - وبالنظر إلى ما كتبه « چيرار شاليان » ببعض التمعن يمكن لنا أن نقف على المسببات الحقيقية وراء استمرار المقاومة الأفغانية فى أعمال القتال ونجاحهم فى تحقيق الأهداف الاستراتيجية التى حددوها لأنفسهم ، وهذه الأسباب التى لم تظهر بصورة مباشرة فيما كتبه « چيرار شاليمان » بحكم معلوماته الضعيفة عن التاريخ الإسلامى يمكن أن نضعها تحت مفهوم الجهاد الإسلامى وهو الجوهر والسبب الرئيسى الذى لمسه الأمير شكيب أرسلان حينما قال : « لو لم يبق للإسلام فى الدنيا عرق ينبض لرأينا عرقه بين سكان الهملايا والهندوكاش نابضاً وعزمه هناك ناهضاً » . تلك هى الحقيقة العظمى التى يجب أن يقف أمامها كل مَن يريد الكتابة عن الأعمال القتالية للمقاومة الأفغانية .

٣ - وهناك الكثير من آيات القرآن الكريم التى تتناول موضوع الجهاد فى الإسلام مثل قول اللّه عزّ وجلّ : ﴿ انفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [١] ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ، وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً ، لَّهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [٣] .

---

(١) التوبة : ٤١ (٢) التوبة : ٧٣ (٣) الأنفال : ٧٤

وهذا المعنى الإسلامى العظيم الذى تناولته بعض آيات الكتاب الكريم هو الذى عبَّر عنه « چيرار شاليان » بتقاليد الأفغان المستقلة ومُثُلهم القتالية . كما أن حرصهم على نيل شرف أداء هذه الفريضة كان وراء إظهار البطولة الشخصية .

٤ - ونظراً لأن مفهوم الجهاد هو مفهوم إسلامى خالص حيث لم يرد فى أى ديانات أخرى سابقة للإسلام ، كما أن ترجمة اللفظ إلى غير العربية لا تدل على جوهر المفهوم الحقيقى . لذلك نجد الجيوش الحديثة حينما اهتمت بالناحية الإيمانية للمقاتل اهتمت بها تحت اسم العقيدة القتالية وهى عقيدة تهدف إلى زرع الإيمان بهدف القتال فى نفسية المقاتل ، وبالتالى فإن العقيدة القتالية للمسلم يمكن أن تندرج تحت معنى ولفظ الجهاد فى سبيل الله وهو ما فشل السيد « چيرار شاليان » نتيجة خلطه بين العقيدة والتقاليد وهما شيئان مختلفان على الرغم من أن التقاليد المثلى يمكن أن تنبع من الإيمان والعقيدة .

٥ - وعندما ننتقل إلى الصراع الذى تخوضه المقاومة الأفغانية فإننا نجد أن المقاومة العددية والنوعية للقوات والأسلحة والمعدات وأساليب القتال المستخدمة لم تكن كلها لصالح قوات المقاومة الأفغانية ولكن لصالح الطرف الآخر ، والغريب أن التفوق كان بدرجة كبيرة وبصورة لا تتمشى مع أسس ومبادىء الصراع العسكرى ، ومن هنا يثار السؤال الهام : كيف نجحت المقاومة الأفغانية فى تحقيق الاستمرار للقتال وتحقيق الأهداف المحددة له سواء أكان طرد القوات السوڤييتية الغازية أو إسقاط حكم النظام الحاكم فى كابول وإقامة دولة إسلامية. إن الرد على هذا السؤال ليس له غير إجابة واحدة محددة وواضحة وتنحصر فى الفارق بين عقائد قتال الأطراف المتصارعة . فالمقاومة الأفغانية تقاتل تحت راية الجهاد الإسلامى ، والطرف الآخر يقاتل تحت راية عقائد أخرى دنياوية لا يمكن بأى حال من الأحوال أن ترقى إلى ما يزرعه مفهوم الجهاد الإسلامى فى النفس المسلمة المؤمنة .

٦ - وحتى لا يكون الاستعراض السابق عن العقيدة القتالية مجرد استعراض

عام ومطلق وغير ملموس الأثر . يمكن لنا أن نتناول بعض المكاسب المادية التى تحققت لحركة المقاومة الأفغانية من جراء تنفيذ القتال تحت راية الجهاد الإسلامى ومن هذه المكاسب الآتى بعد :

* اكتساب تأييد العديد من الدول الإسلامية التى قدمت الكثير لحركة المقاومة الأفغانية سواء أكان هذا التأييد فى صورة قواعد عمل ومعسكرات تدريب وتأييد سياسى وإعلامى – كما حدث من باكستان ، أو تمويل لصفقات سلاح ومعدات قتال كما حدث من المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربى ، أو إمداد بأسلحة ومعدات كما حدث من جمهورية مصر العربية .

* اكتساب تأييد الشعب الأفغانى بصفة عامة والجيش الأفغانى بصفة خاصة وهو الأمر الذى ترتب عليه وجود مصادر دائمة لحركة المقاومة الأفغانية للإمداد بالأفراد والخبرات القتالية اللازمة لتدريب الأفراد وتخطيط وتنفيذ العمليات العسكرية . وتُقدِّر بعض المصادر والتقارير حجم قوات الجيش الأفغانى التى انضمت إلى قوات المقاومة الأفغانية طوال فترة الصراع العسكرى بنحو من ٥٠ إلى ٨٠ ألف مقاتل .

* قدم التأييد الشعبى الذى تحظى به المقاومة الأفغانية الكثير من الإسناد والدعم لعمليات القتال المنفذة ، وقد اتخذ هذا الإسناد أشكالاً عديدة منها – على سبيل المثال – إيواء وإعاشة المجاهدين لفترات طويلة ، وإخفاء الأفراد بعد تنفيذ عملياتهم ، وتقديم المعلومات الهامة عن الأهداف والمراكز المراد التعامل معها .. إلخ .

* قلصت الإرادة القتالية والتصميم على تحقيق الهدف بكافة الإمكانيات والوسائل المتيسرة من الفجوة الكبيرة فى المقارنة النوعية والعددية التى كان يتمتع بها الطرف الحكومى والسوفييتى . ونجحت المقاومة الأفغانية فى تحقيق نتائج هى بجميع المقاييس العلمية أفضل مما تحقق على أرض ڤيتنام أو أى مكان آخر شهد صراعاً مماثلاً للصراع الأفغانى .

* * *

الفصل التاسع

الجهاد الأصغر

« قتل حوالى ٥٠ ألف وأصيب ١٥٠ ألف كما عاد جيش من المعوقين الشباب » .

(الكاتبة الروسية شفتيلا الكسيفتيس)
فى كتاب بعنوان « شباب من الزنك »

* * *

طريق الألف ميل

أولاً - عام :

١ - خلال الصراع الذى خاضته المقاومة الأفغانية طوال أربعة عشر عاماً -تقريباً - سواء ضد النظام العميل الحاكم فى كابول أو مَن سانده من دول أخرى مثل الاتحاد السوفيتى (سابقاً) نلاحظ أن النتائج التى ترتبت على أحداث الصراع كانت نتائج تتميز بعدة خصائص من أهمها الآتى بعد :

* أن النتائج الخاصة بتحقيق الأهداف واضحة وضوحاً تاماً ، وأن هذه النتائج تتفق بصورة تامة وكاملة وبدون أى لبس مع المطالب والأهداف التى وضعها وأعلنها قادة المقاومة الأفغانية .

* أن النتائج التى تحققت بالكامل طبقاً لإرادة المقاومة الأفغانية تم تحقيقها بالكامل بواسطة أداة واحدة فقط من أدوات الصراع وهى الأداة العسكرية بعيداً عن أى أدوات أخرى حيث رفض قادة المقاومة الأفغانيه اللجوء إلى استخدام أسلحة أخرى هم غير متمرسين عليها مثل الأداة السياسية ، أو التى لا تسمح الإمكانيات بها مثل الأداة الاقتصادية ... إلخ .

* ترتب على النقطتين الموضحتين أعلاه سقوط النظرة النسبية لهذه النتائج من واقع المنظور المختلف لأطراف الصراع وأصبح العدو قبل الصديق شاهداً على صحة ما تحقق من أهداف وعلى مَن له الفضل الأول والأخير فى تحقيقه .

* أن النتائج التى تم تحقيقها كانت قوية ومؤثرة وحيث لم يقتصر تأثيرها على الطرف الآخر المباشر داخل الصراع والمتمثل فى نظام كابول العميل والقوات السوفيتية بل امتد تأثيرها إلى أطراف أخرى غير مباشرة كانت خارج الصراع . ولإيضاح وتفسير هذه الخاصية يمكننا القول إن المقاومة الأفغانية مصنفة من

وجهة نظر الإعلام الغربى فى إطار الجماعات الإسلامية الأصولية التى تعمل القوى المناهضة للإسلام عالمياً على عدم وصولها إلى الحكم داخل دولها [١] ، والنتائج التى حققتها المقاومة الأفغانية سوف تصل بها إلى حكم أفغانستان رغم أنف الجميع .

* أن تحقيق النتائج كان بطيئاً فى بعض الفترات أو المراحل ، وعلى سبيل المثال فإن نظام الحكم فى كابول برئاسة نجيب الله كان يمكن أن يسقط مباشرة فور إنسحاب القوات السوفييتية من أفغانستان . ولكن الأمر هنا استغرق أكثر من عامين لتحقيقه . وبالطبع فإن هناك عوامل عديدة وراء ذلك لن تخرج كُثيراً عما تناولنا خصوصاً عند دراسة ميزان القُوَى بين أطراف الصراع .

٢ - ولكى يمكن لأى محلل أن يرصد كيفية تحقيق النتائج والأهداف التى حققتها المقاومة الأفغانية لا بد من تتبع طريق الألف ميل الذى قطعته المقاومة وتحليل ما حدث وذلك يمكن أن يتم من خلال ثلاث مراحل رئيسية تشكل البنيان الرئيسى لطريق الجهاد الأفغانى ، وهذه المراحل هى :

● المرحلة الاولى : وهى المرحلة التى استهدفت فيها المقاومة إسقاط نظام الحكم الشيوعى فى أفغانستان .

● المرحلة الثانية : وهى مرحلة طويلة حيث أضيف إلى هدف المرحلة الأولى هدفاً آخر يتمثل فى إجبار القوات السوفييتية على الانسحاب من أفغانستان .

● المرحلة الثالثة : وهى المرحلة التى تلى الانسحاب السوفييتى وأصبح هدف المقاومة الأفغانية إسقاط نظام الحكم لإقامة دولة إسلامية .

* *

---

(١) حتى بنازير بوتو رئيسة وزراء باكستان أعلنت عام ١٩٨٩ أنها لا تؤيد قيام حكومة إسلامية أصولية فى أفغانستان .

ثانياً – المرحلة الأولى :

١ – تبدأ هذه المرحلة منذ عام ١٩٧٣ ومع الاستيلاء غير المباشر لحزب الشعب الديمقراطى على السلطة فى أفغانستان من خلال الإنقلاب الذى عُيِّن على أثره محمد داود رئيساً لأفغانستان وحتى ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩ تاريخ الغزو السوفييتى لأفغانستان .

٢ – خلال هذه المرحلة كان الهدف الاستراتيجى للمقاومة الأفغانية هو إسقاط نظام الحكم الشيوعى وإقامة دولة إسلامية .

٣ – ومن أبرز أحداث هذه المرحلة الآتى بعد :

* محاولة إنقلاب عسكرى ضد نظام حكم قامت به الجمعية الإسلامية بالاشتراك مع ضباط وجنود من الجيش الأفغانى ، وكان على رأس قادة الإنقلاب غولب الدين حكمتيار . وقد فشل الإنقلاب وهرب أغلب قادته إلى منطقة بيشاور فى باكستان .

* بدء ظهور وتكوين منظمات جهاد إسلامية مثل منظمة الاتحاد الإسلامى بقيادة عبد رب الرسول سياف ، ومنظمة الحزب الإسلامى بقيادة غولب الدين حكمتيار، ومنظمة الجمعية الإسلامية بقيادة برهان الدين ربانى . وقد وصل عدد منظمات الجهاد الأفغانى إلى نحو سبعة منظمات تقريباً ، وتُقدَّر حجم قوات المقاومة الأفغانية التى أمكن تجنيدها خلال ثلاثة أعوام بنحو ستين ألف مجاهد أفغانى .

* وفى عام ١٩٧٨ عقد فى بيشاور مؤتمر حضره قادة الجهاد الأفغانى تحت شعار « الدفاع عن المقدسات والسعى إلى إنهاء حكم الكفار » ، وقد بحث المؤتمر الأساليب المناسبة لتأليب القبائل الأفغانية على نظام الحكم فى كابول وشكل لجنة تنفيذية من ستين شخصاً لمتابعة تنفيذ توصياته . وقد نجحت قوات المقاومة الأفغانية خلال هذه الفترة فى استقطاب الكثير من القبائل خصوصاً سكان منظمة الحدود مع باكستان لصالح العمل مع منظمات المقاومة . وكان

هؤلاء السكان هم الأداة الإيجابية التى تم استخدامها لاستمالة عناصر كثيرة من ضباط وقادة وجنود القوات المسلحة والنجاح فى ضمهم لصفوف المقاومة وتُقدِّر المصادر القريبة من الأحداث حجم أفراد القوات المسلحة الأفغانية الذين انضموا إلى قوات المقاومة الأفغانية خلال هذه الفترة بنحو من ١٥ إلى ٢٠ ألف مقاتل أفغانى .

* نجاح منظمات الجهاد الأفغانى فى تنفيذ العديد من العمليات العسكرية ضد الأهداف والمراكز التى تسيطر عليها قوات النظام الحاكم فى كابول سواء فى عهد محمد داود أو نور محمد تراقى أو حفيظ الله أمين ، وذلك على الرغم من العمليات العنيفة التى تتسم بالوحشية التى كان يرد بها الجيش الأفغانى ، وكانت المناطق الأكثر إلتهاباً تتواجد فى المنطقة الغربية بالقرب من الحدود الإيرانية . وفى المنطقة الشرقية عبر ممر خيبر الشهير على مقربة من الحدود الباكستانية ، وقد اعترفت السلطات الأفغانية فى سبتمبر عام ١٩٧٨ لأول مرة أن هناك معارضة مسلحة فى أكثر من مكان داخل أفغانستان (١) .

* ويلاحظ خلال هذه الفترة على الجانب الآخر زيادة كبيرة فى حجم الإمدادات الخاصة بالأسلحة والمعدات ومشاركة فعالة من قبَل القوات الجوية السوڤييتية فى بعض العمليات مثل سرعة نقل قوات الجيش الأفغانى إلى المناطق الأكثر إلتهاباً ، أو المعاونة فى عمليات قصف مناطق المقاومة ، أيضاً شهدت هذه الفترة زيادة كبيرة فى عدد المستشارين السوڤييت العاملين داخل الجيش الأفغانى (٢) .

* على الرغم من الوحشية التى كانت ترد بها قوات الحكومة على ضربات المقاومة وقيام طائرات الميج بقصف شمولى وكاسح بهدف تخويف وإرهاب القبائل الأخرى والضرب فى مناطق للتأثير فى مناطق أخرى ، إلا أن الملاحظ هنا

---

(١) أشارت التقديرات الغربية إلى وجود مقاومة فى ١٥ مقاطعة من أصل ٢٨ مقاطعة .

(٢) التقديرات الغربية فى عام ١٩٨٧ قدّرت عدد المستشارين بنحو ٥ آلاف خبير مدنى و ٢٥٠٠ خبير عسكرى .

أن الخط البيانى لنمو حركة المقاومة الأفغانية كان يأخذ فى الاتساع والتزايد وهو الأمر الذى تسبب فى إصابة الكثير من المراقبين بالدهشة والحيرة على الرغم من أن التقارير الصحفية التى كانت تخرج من أفغانستان خلال هذه الفترة توضح حقيقة ما يحدث بالداخل مثل التقرير التركى الذى صدر تحت اسم معركة الأحمر والأخضر فى أفغانستان وقام بعرضه الأستاذ محمد حرب فى مجلة المجتمع فى إبريل عام ١٩٧٩ وحيث يقول رجل أفغانى من قبيلة دوياندانى فى منطقة لوكار فى أفغانستان : « إن لى ١٢ إبناً و٣ أحفاد وكلهم فداء القضية ، عمرى ٦٥ عاماً والموت فى سبيل الله هو المنقذ والأمل فى الجنة ، العلم الأخضر يرفرف الآن فوق جبالنا ، نتوضأ قبل كل معركة . نشترك فى الجهاد بغية الاستشهاد ، إن هذا هو الجهاد والشهيد فيه محله الجنة ، شكرنا لله لا حد له لأنه وهبنا إمكان القيام بالجهاد فى سبيل الإسلام » .

* وفى إبريل عام ١٩٧٩ صدر بيان مشترك من الحركة التحريرية الأفغانية موقّع عليه من أمير الحزب الإسلامى غولب الدين حكمتيار ، وأمير الجمعية الإسلامية برهان الدين ربانى ، وأمير حركة الإنقلاب الإسلامى محمد نبى محمدى ، وقد جاء هذا البيان أن المقاومة الأفغانية قد أصبحت تسيطر على أجزاء كبيرة من الأراضى الأفغانية ، وأن نظام نور محمد تراقى يسيطر على كابول ، وبعض المدن الصغيرة فقط ، كما ركز البيان على إيضاح أن هدف الجهاد الأفغانى هو قمع الفئة الشيوعية فى أفغانستان وإقامة جمهورية إسلامية بها .

٤ - من الواضح أن محصلة هذه الفترة كانت تتمثل فى نجاح قوات المقاومة الأفغانية فى فرض سيطرتها على الموقف بصورة تامة وكادت المقاومة أن تحقق هدفها الواضح فى البيان الصادر فى إبريل عام ١٩٧٩ ، والدليل الدامغ على هذا النجاح ينحصر فى مسارعة الاتحاد السوفييتى (سابقاً) بالتدخل العسكرى وغزو أفغانستان .

* *

ثالثاً - المرحلة الثانية :

١ - تبدأ هذه المرحلة فى ٢٧ ديسمبر عام ١٩٧٩ وهو تاريخ الغزو السوفييتى لأفغانستان وتنتهى فى ١٥ فبراير عام ١٩٨١ وهو تاريخ إنسحاب قوات الغزو بعد أن فشلت فى القضاء على المقاومة الأفغانية .

٢ - ومن الواضح هنا أنه قد ترتب على الغزو السوفييتى لأفغانستان زيادة فى الأهداف الاستراتيجية لحركة المقاومة الأفغانية وتعديل فى أسبقيات تحقيق هذه الأهداف ، حيث أصبح خروج القوات السوفييتية من أفغانستان هو الهدف الأول ، ثم إسقاط النظام الحاكم ، ثم إقامة الجمهورية الإسلامية .

٣ - ومن أبرز أحداث هذه المرحلة الآتى بعد :

* حدوث تغيير كبير فى ميزان القوى لصالح نظام الحكم فى كابول وذلك بإضافة ٨٥ ألف جندى سوفييتى ومعهم المئات من الأسلحة والمعدات المتطورة إلى قوات الجيش الأفغانى الذى عمل نظام الحكم هناك على زيادة تعداده حتى وصل إلى نحو ١١٠ ألف مقاتل فى بداية هذه المرحلة . فى نفس الوقت الذى أدى فيه الغزو السوفييتى إلى إزدياد ونمو تعداد المقاومة الأفغانية بدرجة كبيرة نسبياً [١] .

* زيادة كبيرة فى معدل لجوء أفراد الجيش الأفغانى إلى قوات المقاومة الأفغانية ، وفى خلال عام واحد فقط من التدخل السوفييتى ارتفع التعداد من ٢٠ ألف إلى ٤٠ ألف فرد تقريباً [٢] .

* بعد قيام القوات السوفييتية بالتدخل وأخذ أوضاعها طبقاً لخطة تأمين نظام الحكم فى كابول بدأ التخطيط بواسطة المستشارين السوفييت للقيام بتنفيذ عدة ضربات قوية إلى معاقل المقاومة الأفغانية وقد اتخذت هذه الضربات العنيفة التى تمت فى بداية عام ١٩٨٠ شكل المذابح الوحشية والتى راح ضحيتها آلاف الأفغان الأبرياء ، إضافة إلى آلاف أخرى تركت أرضها متوجهة إلى باكستان

(١) ليس هناك أرقام دقيقة لهذه الزيادة .
(٢) تقرير لـ « چيرار شاليان » صدر عن أفغانستان فى عام ١٩٨٠ .

هربا من جحيم تلك المذابح . وقد وصلت بشاعة المذابح التى قامت بها القوات السوڤييتية والحكومية الأفغانية خلال النصف الأول من عام ١٩٨٠. إلى درجة جعلت السيد « ميشيل جوبير » وزير الخارجية الفرنسى السابق يتساءل فى مقالة له بمجلة الحوادث اللبنانية الصادرة فى لندن فى ١٩ يوليو عام ١٩٨٠. : « هل يقاتل الأفغانيون وحدهم ويموتون وحدهم » ؟

* قام المجاهدون بالرد على الضربات الوحشية للقوات السوڤييتية والحكومية من خلال مجموعة كبيرة من العمليات العسكرية الناجحة فى مناطق بروان - وردك - غزنى - تسكاب - تنكرها . وقد كبدت المقاومة للطرف الآخر خسائر كبيرة وحيث كان لهذا الرد القوى تأثيرات عدة منها زيادة قوة التدفق والانضمام لحركة المقاومة من قِبَل أفراد الشعب الأفغانى المسلم ، ومنها أيضاً قيام المستشارون السوڤييت بمراجعة حساباتهم خصوصاً مع نجاح قوات المقاومة فى محاصرة كابول واتضاح صعوبة المهمة التى خططوا لإنجازها ، ويعبر عبد رب الرسول سياف عن الموقف فى خلال هذه الفترة بدقة فى حديث له بمجلة المجتمع الكويتية بتاريخ ٢٨ سبتمبر عام ١٩٨٠. بقوله : « الروس فقدوا المبادرة القتالية ، بعد ثمانية شهور من الحرب تبين لهم من خلالها تعذر تحقيق نصر سريع كما كانوا يأملون ، بل نجح إخواننا المجاهدون فى محاصرة قوات الروس فى أكثر من موقع ، وقد تمكنا بعون الله من تطويق كابول فى نطاق ٦ كيلو مترات ، ويستطيع إخواننا شن غارات متعددة على العاصمة ، وقد فقد جنود الحكومة والروس القدرة على التجول بحرية أفراداً ، بل إنهم لا يجرأون على الخروج من دباباتهم عندما يكونون خارج العاصمة حتى لقضاء الحاجة » .

* وفى ذكرى مرور عام على الغزو السوڤييتى لأفغانستان أخذ الصراع شكلاً آخر بعد قيام مظاهرات عنيفة داخل كابول أوضحت للعالم أجمع أن التلاحم بين الشعب الأفغانى وقوات المقاومة الأفغانية أقوى من أى وقت مضى ، وقد اعترفت وكالة تاس السوڤييتية بالاضطرابات الخطيرة التى وقعت فى كابول واتهمت مَن أسمتهم بمجموعات المخربين بإثارة الاضطرابات الدامية فى العاصمة

الأفغانية بينما وصفت وكالة الأنباء الأفغانية الرسمية ما حدث بأنه مؤامرة ضد نظام الحكم القائم فى أفغانستان .

* ومرة أخرى ومع تصاعد ضربات القوات السوفييتية والحكومية يزداد صمود وإصرار قوات المقاومة الأفغانية فى إطار صور بطولية رائعة تساءلت معها وسائل الإعلام العالمية عن السر الخفى وراء قوة وصمود المقاومة الأفغانية ، ولعل أبرز ما كتب خلال هذه الفترة ما جاء فى مجلة « لونوفيل أويسرناتور » فى شهر فبراير عام ١٩٨١ والتى استعرضت فى مقالة طويلة [1] صوراً عديدة تمثل عنف وبشاعة القوات السوفييتيه والحكومية وأيضاً صوراً أخرى لصمود وإصرار المقاومة الأفغانية على تحقيق هدفها .

* ومع حلول عام ١٩٨١ ازدادت المعارك ضراوة بين طرفى الصراع ، وقامت قوات المقاومة الأفغانية بفتح مراكز تدريب لها فى قاعدتها الرئيسية ببشاور ، الأمر الذى ترتب عليه إمكان تنفيذ عمليات قتالية بصورة تنم عن إرتفاع مستوى الكفاءة القتالية لقوات المقاومة .

ويصف صحفى أمريكى ما شاهده خلال هذه الفترة فى مقالة بجريدة « يو . إس . نيوز » تم نشرها فى مجلة البلاغ الكويتية بتاريخ ١٨ أكتوبر عام ١٩٨٩ بقوله : « العصابات الأفغانية تشن حرباً ناجحة ضد السوفييت ، وبالنسبة لهؤلاء أصبحت المقارنة مع فيتنام الأمريكية واضحة ، وفى كل شهر يزداد عدد القوات السوفييتية فى أفغانستان ، ومع ذلك فإن فعاليات هذه القوات الجديدة لا تؤدى إلى تحسين الموقف » .

وفى تعليق على معركة شاهدها بين الطرفين للاستيلاء على وادى بانجشير يقول : « رأيت المعركة التى دارت وتأكدت بعدها أن السوفييت بدورهم لا يستطيعون دحر الثوار » .

* ومع نهاية عام ١٩٨٩ بدأت قيادة القوات السوفييتية فى أفغانستان مجموعة من الإجراءات الهادفة إلى تحقيق المزيد من السيطرة على الأوضاع ، ومن هذه الإجراءات الآتى بعد :

---

(١) نشرت المقالة مترجمة فى صحيفة الأنباء الكويتية على حلقتين .

– عدم الاعتماد على قوات الجيش الأفغانى فى تنفيذ العمليات الهامه نظراً لضعف كفاءته القتالية الناتجة عن هبوط الروح المعنوية وقصر فترات التدريب القتالى .

– سحب بعض التشكيلات من المسرح الأوروبى حيث تتميز هذه التشكيلات بكفاءة قتالية عالية ودفعها إلى المسرح الأفغانى ، وحيث تم زيادة عدد القوات السوفيتية إلى نحو ١٢٠ ألف فرد بزيادة تقدَّر بنسبة ٥٠ ٪ من القوات المستخدمة فى بداية الغزو .

– تكثيف عمليات القوات الجوية خصوصاً فى المناطق التى يصعب الوصول إليها بواسطة القوات البرية مع التوسع فى استخدام المنشورات التى تحمل التهديد والوعيد للمناطق التى تقدم المعاونة لقوات المقاومة الأفغانية .

* اللجوء لتموين القوات السوفيتية فى أغلب المقاطعات بواسطة القوات الجوية لتقليل حجم الأرتال الإدارية التى تُكلّف بذلك والتى تعتبر أهدافاً ثمينة لكمائن المقاومة الأفغانية .

* ورغم ما تم اتخاذه من إجراءات من قِبَل قيادة القوات السوفيتية فى أفغانستان إلا أن النتائج التى ترتبت عليها كانت متواضعة للغاية أمام إصرار وصمود المقاومة الأفغانية ، وقد عبَّر « ألكسندر بروخانوف »[1] عن ذلك بقوله : « إن الخبراء والمتخصصين فى الشئون الإسلامية والدبلوماسيين والسياسيين والعسكريين قد أخطأوا جميعاً فى تقدير وتصوير الموقف » .

* وفى عام ١٩٨٢ قامت القوات السوفيتية بمذابح عديدة فى أماكن كثيرة متفرقة فى أفغانستان فى محاولة لتقليل الآثار الناجمة عن عمليات المقاومة الأفغانية وبث الرعب والفزع فى قلب الشعب الأفغانى . وقد كشف هذه المذابح إعلان اللجنة السويدية المسئولة عن تقديم المساعدات للدول المحتاجة فى العالم

---

(١) كاتب سياسى روسى .

الثالث فى شهر يوليو عام ١٩٨٢ والذى جاء فيه : « إنه تم إبادة ست قرى من الوجود فى مقاطعة لوغار » وقد زادت هذه المحاولات السوفييتية الغاشمة من الترابط بين الشعب الأفغانى وقوات المقاومة الأفغانية ويظهر ذلك واضحاً تماماً فى التصريح الذى أدلى به عبد الرحمن باشواك [١] حيث قال : « إن حوالى ٤٠ ٪ من المسئولين الحكوميين فى كابول يحافظون بشتّى الطرق والوسائل على علاقة مخفية تجمعهم بالمجاهدين المتواجدين فى كابول » .

* ومع مرور الذكرى الثالثة للاحتلال السوفييتي لأفغانستان حدث تغيير فى القيادة العليا للاتحاد السوفييتى (سابقاً) بعد وفاة « ليونيد بريچينيف » وتولى « أندروبوف » للسلطة هناك ، وقد استمر « أندروبوف » على سياسة سَلَفه فى نفس الوقت الذى ارتفعت فيه الخسائر فى القوات السوفييتية خلال الفترة السابقة إلى نحو خمسة عشر ألف قتيل وعدد كبير جداً من الجرحى والمصابين ، وهو الأمر الذى ترتب عليه قيام قيادة القوات السوفييتية فى أفغانستان بتعديل استراتيچية عملها بحيث اعتمدت هذه الاستراتيچية على تكثيف الغارات الجوية ضد الأهداف والمناطق التى تعمل منها قوات المقاومة لتدمير المساكن وحرق المحاصيل وقتل الماشية وإجبار السكان على النزوح ، وذلك بهدف حرمان المقاومة الأفغانية من كافة المساعدات التى تُقدَّم لهم من قِبَل سكان هذه المناطق . ويرى بعض المراقبين والمحللين أن تعديل القيادة العسكرية السوفييتية الاستراتيچية عملها فى هذا التوقيت يرجع بالدرجة الأولى إلى النجاح الكبير الذى حققته المقاومة الأفغانية فى السيطرة على الطرق القليلة التى تستخدم لإمداد القوات السوفييتية بالوقود والذخيرة ... إلخ .

* ومع نهاية عام ١٩٨٣ أدركت القيادة السياسية السوفييتية بعد ثلاث سنوات أن التورط فى أفغانستان كان خطأً كبيراً تحول إلى مأزق خطير ، لذلك بدأت الاتصالات السوفييتية مع دول العالم الغربى فى محاولة لإيجاد مخرج من

---

(١) سفير أفغانستان فى الهند وقد استقال من منصبه خلال هذه الفترة .

المستنقع الأفغانى وتم الاتفاق فعلاً مع القيادة الأمريكية على عودة الملك محمد ظاهر شاه الذى يعيش فى إيطاليا لأفغانستان كى يتولى زمام الأمور مرة أخرى . وقد ردت قوات المقاومة الأفغانية على تلك الأنباء التى ترددت فى الصحافة العالمية من خلال منشور أصدره عبد رب الرسول سياف رئيس الاتحاد الإسلامى لتحرير أفغانستان وجاء فيه : « نرحب بالملك لنقتله فى المطار » (١) .

* استمر الصراع قوياً وعنيفاً مع حلول عام ١٩٨٤ ، وفى خلال النصف الأول منه استمرت الشائعات والأخبار الكاذبة عن قرب التوصل إلى حل سلمى للقضية الأفغانية ، وأيضاً استمرت أخبار عودة الملك محمد ظاهر شاه بل وأضيف إلى ذلك أخبار أخرى عن استعداد النظام الحاكم فى كابول للتفاوض مع المجاهدين الأفغان ثم بدأت تترامى أخبار وشائعات أخرى عن وجود مفاوضات تجرى تحت إشراف الأمم المتحدة بين المقاومة الأفغانية والاتحاد السوفييتى وقد وضع غولب الدين حكمتيار أحد قادة المقاومة حداً لهذه الشائعات عندما قال : « مفاوضاتنا مع الروس فى ساحات القتال » (٢) .

* ومع نهاية عام ١٩٨٤ تلقت القوات السوفييتية هزيمة قوية وجديدة من قوات المقاومة الأفغانية وذلك عندما فشلت القوات السوفييتية للمرة الخامسة عشر فى الاستيلاء على وادى بانجشير ذو الأهمية الاستراتيجية بعد أن خاضت معركة مريرة وفاشلة مع قوات المقاومة بقيادة أحمد شاه مسعود ، وقد تكبدت القوات السوفييتية خلال هذه المعركة الكثير من الخسائر إضافة إلى العديد من الأسلحة والمعدات التى غنمتها قوات المقاومة الأفغانية .

* ومع بداية عام ١٩٨٥ إزداد الصراع عنفاً وضراوة بين الأطراف المشاركة فيه وبدأت قوات المقاومة الأفغانية فى استخدام صواريخ الكتف المضادة

---

(١) مقالة للشهيد عبد الله عزام تحت عنوان قضية الجهاد الأفغانى فى سطور نشرت بمجلة المجتمع الكويتية فى أغسطس عام ١٩٨٣

(٢) حديث مع حكمتيار نشر فى مجلة المجتمع الكويتية بتاريخ ١٧ يوليو ١٩٨٤

للطائرات للتصدى للغارات الكثيفة التى تُشَن بواسطة الطائرات السوفييتية والحكومية واستطاعت هذه القوات أن تحقق لنفسها نوع من الوقاية النسبية ضد الغارات الجوية إضافة إلى إسقاط أعداد ليست بقليلة من طائرات الجانب الآخر وقد ترتب على ذلك شعور القيادة العسكرية السوفييتية فى أفغانستان بالإحباط وانعكس ذلك على القيادة السياسية التى بدأت تعاود اتصالاتها بالدول الغربية لإيجاد مخرج يحفظ لها كرامتها من المستنقع الذى تعيش فيه .

* ومع منتصف عام ١٩٨٥ ترددت الأخبار مرة أخرى عن وجود مباحثات أمريكية / سوفييتية يرأس الجانب الأمريكى فيها « ريتشارد ميرفى » مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط ، ويرأس الجانب السوفييتى « يورى الكسيف » مسئول الشرق الأوسط فى الخارجية السوفييتية ، فى نفس الوقت ترددت فيه أنباء أخرى عن وجود محادثات « باكستانية / أفغانية » تجرى تحت إشراف المبعوث الخاص للأمم المتحدة « دييجو كوردوفيز » الذى صرح فى أحد المؤتمرات الصحفية التى عقدها فى چنيف بعد إجتماع هناك بتصريح يقول فيه : « إن الدولتين العظمتين تريدان التأكيد على تأييدهما المستمر للتسوية الأفغانية عن طريق الحوار » .

* ومن خلال تأكيد أنباء المفاوضات التى كانت تجرى فى منتصف عام ١٩٨٥ كان يمكن لأى مراقب سياسى أو عسكرى أن يقدّر حجم المعاناة التى أصبح يعانى منها الاتحاد السوفييتى (سابقاً) على الرغم من محاولاته اليائسة لوضع حل عسكرى للصراع فى صور توسع فى استخدام العديد من الأسلحة والمعدات القتالية المتطورة والقيام بدفع قوات جديدة داخل المسرح الأفغانى حتى وصل حجم القوات السوفييتية إلى نحو ١٥٠ ألف فرد بزيادة وصلت إلى ١٠٠٪ من حجم القوات المستخدمة فى بداية الغزو تقريباً ، وعلى الجانب الآخر فإن حركة المقاومة الأفغانية أخذت تستقطب الكثير من إعجاب الرأى العام العالمى الذى بدأ ينظر إلى صمود وتضحيات المقاومة بالكثير من الدهشة البالغة حيث كان الشعب الأفغانى يسطر بدماء أبنائه ملحمة بطولية

عظيمة اختلطت فيها روح الجهاد الإسلامي مع نِعَم كثيرة يسَّرها المولى عزّ وجلّ لقوات المقاومة الأفغانية . وقد علق أحد الغربيين على ما شاهده فى ميدان القتال بأفغانستان بقوله : « إنها حقائق لا أستطيع تفسيرها » [١] .

* ومع نهاية عام ١٩٨٥ كان من الواضح أن المفاوضات الدولية حول القضية الأفغانية قد فشلت تماماً خصوصاً وأن العنصر الرئيسى فى هذه القضية – وهو المقاومة الأفغانية – لم تشارك فيها ، وقد انعكس هذا الفشل على سياسة القوات السوفيتية فى أفغانستان حيث قامت باتخاذ المزيد من الإجراءات العنيفة مثل :

– تكثيف الغارات الجوية على القرى والتجمعات السكانية بصورة تحقق الإبادة الكاملة للمناطق المضروبة .

– التوسع فى استخدام الضغط النفسى عن طريق المنشورات التى تحمل التهديد والوعيد من جهة ، والشائعات التى تثير النعرات القَبَلية من جهة أخرى .

* تعتيم إعلامى ناجح للتغطية على جرائم الحرب التى ترتكب بصورة يومية وفى أكثر من مكان أو موقع .

وقد عبَّر مسيو « ريفيل » مدير تحرير الاكسبريس الفرنسيه سابقاً عن الموقف فى أفغانستان فى نهاية عام ١٩٨٥ بقوله : « إن ما حدث لم يكن يوماً جزء من الاستراتيجية السوفيتية ، إن الروس وجدوا أنفسهم متورطين فجأة فى فخ ، وإن على القوى الغربية العمل على مساعدتهم للخروج من المأزق الأفغانى بأسلوب يحفظ لهم ماء الوجه » [٢] .

* وفى بداية عام ١٩٨٦ أصدر معهد الدراسات والعلاقات الدولية للحزب الديمقراطى المسيحى الألمانى تقريره السنوى الذى يتناول الأوضاع السياسية فى

---

(١) مقالة قضية الجهاد الأفغانى فى سطور للدكتور عبد الله عزام .

(٢) مقالة بمجلة المجتمع الكويتية بتاريخ ١١ نوفمبر عام ١٩٨٥

العالم ، وكان أبرز ما جاء فى التقرير بخصوص المشكله الأفغانية : « إن الاتحاد السوفييتى أخفق بعد مرور ست سنوات فى القضاء على المجاهدين الأفغان أو إنهاء ثورتهم رغم التفوق الواضح فى العدة والعتاد ، ورغم حملات الإبادة المتواصلة ضدهم » .

فى نفس الوقت الذى تحدثت فيه مجلة الوطن العربى التى تصدر فى لندن[1] عن المأزق السوفييتى بقولها : « عندما غزت القوات السوفييتية أفغانستان فى ٢٧ ديسمبر عام ١٩٧٩ توقع كثيرون أن ينتهى المشوار السوفييتى سريعاً على غرار بودابست وبراغ [2] ، ولم يخطر فى بال أحد أن تتمكن مجموعة من المجاهدين من مقاومة أكبر قوة عسكرية فى العالم على الرغم من قلة عتادها وتجهيزها وتدريبها » .

* وفى بداية عام ١٩٨٦ أيضاً بدأ التخطيط السوفييتى لإغراق منطقة الحدود « الباكستانية / الأفغانية » بالمخدرات ، وبدأ عملاء ومليشيات المخابرات الأفغانية فى الانتشار بمنطقة الحدود لحث المزارعين على زراعة النباتات المخدرة بدلاً من المحاصيل التى دُمِّرت بفعل الغارات الجوية للقوات السوفييتية والحكومية ، وقد كشف الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق هذا المخطط الخبيث حيث أعلن فى مؤتمر عام عقدته منظمة الأنتربول فى إسلام آباد فى مارس عام ١٩٨٦ أن السوفييت وراء إنتشار المخدرات فى بلاده وأنهم يستخدمون القوة أحياناً لإدخال هذه السموم إلى الأراضى الباكستانية [3] .

* وفى شهر إبريل عام ١٩٨٦ نشرت مجلة « دينانت » [4] البريطانية مقالاً مطولاً لضابط سوفييتى برتبة عقيد تحت اسم مستعار هو « ڤيكتور أولينيف » جاء فيه : « إن إرسال القوات السوفييتية إلى أفغانستان كان نتيجة لقصر

---

(١) العدد رقم ٤٦٣ شهر يناير عام ١٩٨٦

(٢) إشارة للغزو السوفييتى للمجر عام ١٩٥٥ وتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨

(٣) جريدة المسلمون فى ١٩٨٦/٣/٢٩

(٤) تصدر عن دائرة العلوم السياسية فى جامعة ليدز .

النظر ولو حصلت تلك الأحداث فى وقتنا الراهن فإن القيادة السوڤييتية الحالية بزعامة « جورباتشوف » لم تكن لترتكب خطأ « برچينيف » ، إن الحرب الأفغانية ليس لها شعبية على الإطلاق فى الاتحاد السوڤييتى ، ولكن ليس هناك أى مجال للاستسلام فهذا ما لا يسمح به الوضع الاستراتيچى فى أفغانستان ولا التقاليد التاريخية لروسيا » .

* وفى منتصف عام ١٩٨٦ وأمام صمود وإصرار المقاومة الأفغانية على تحقيق أهدافها المحددة كان الوضع على الجانب الآخر ينحدر من سيئ إلى أسوأ الأمر الذى قامت معه القوات السوڤييتية بخلع بابراك كارمل رئيس الحكومة العميلة فى أفغانستان وتعيين نجيب الله البرشمى رئيس جهاز المخابرات الأفغانية بدلاً منه وذلك بسبب عجز بابراك كارمل عن السيطرة على الأمور فى أفغانستان وفشله الذريع فى إيقاف الضربات المتلاحقة لقوات المقاومة الأفغانية . وقد أصدر نجيب الله عدة قرارات هامة بعد توليه للسلطة تهدف إلى معالجة الموقف العسكرى الضعيف للنظام الحاكم وكان من أبرز هذه القرارات قرار يمنع الشباب الأفغانى من دخول الجامعة وإكمال الدراسة العليا ما لم ينخرط فى صفوف الجيش الأفغانى ، كما اعترف نجيب الله بحاجة الجيش الأفغانى إلى التدريب وإقامة المعسكرات ومراكز التدريب ، وترى جريدة المسلمون [١] أن القرارات التى اتخذها نجيب الله فى بداية عهده كانت تستهدف تعويض النقص الكبير فى الأفراد الذى يعانى منه الجيش الأفغانى نتيجة فرار جزء كبير منه للانضمام إلى قوات المقاومة الأفغانية .

* وفى شهر أغسطس عام ١٩٨٦ اعترف الرئيس الأفغانى بالمصاعب التى يواجهها من جراء سيطرة المجاهدون الأفغان على زمام المبادأة وقدرتهم على

---

(١) جريدة المسلمون فى ١٢ يوليو عام ١٩٨٦

إنزال خسائر فادحة بالقوات السوفييتية والحكومية ، وأبدى نجيب الله استعداده للتفاوض من أجل التسوية السلمية مع الجماعات المعارضة لنظامه [١] .

* ومع بداية عام ١٩٨٧ وفى الذكرى السابعة للغزو السوفييتى لأفغانستان كانت صورة الموقف العسكرى قد أصبحت واضحة تماماً أمام العالم ، فالمقاومة الأفغانية - على الرغم من الخسائر البشرية التى تكبدتها والتى اقتربت من مليون ونصف مليون شهيد وجريح ، إضافة إلى معاناة نحو ثلاثة ملايين لاجىء - أصبحت تسيطر على ٨٠٪ من مساحة أفغانستان وتنفذ العديد من العمليات النهارية والليلية التى تكبد الطرف الآخر المزيد من الخسائر وتسبب له الكثير من المعاناة وفقدان الأمان ، أما على الجانب الآخر فقد بدأت أعماله القتالية تتسم بالارتجال واليأس وأصبح شبح الهزيمة ماثلاً أمام أعين القائمين بالتخطيط الذين وسّعوا دائرة أعمالهم العسكرية كى تغطى كل الأراضى الأفغانية ، وقد وصل هذا التوسع إلى درجة مهاجمة الحدود الباكستانية فى شهر مارس عام ١٩٨٧ وذلك عندما قامت الطائرات الأفغانية بمهاجمة قرية « تيرى مانجال » الواقعة فى إقليم كورام الباكستانى قرب الحدود مع أفغانستان [٢] .

* وفى شهر فبراير عام ١٩٨٧ أعلن الرئيس الأفغانى نجيب الله عن وقف لإطلاق النار من جانب واحد بعد أن رفضت قيادة قوات المقاومة الأفغانية اقتراحه بإيقاف إطلاق النار من جميع الأطراف المتصارعة ، وقد سبق إعلان الرئيس الأفغانى مجموعة من التصريحات والتحركات السياسية التى تؤكد بصورة ضمنية أن معركة الصراع فى أفغانستان أصبحت شبه محسومة لصالح قوات المقاومة الأفغانية مثل [٣] :

- إعلان نجيب الله إستعداده لتشكيل حكومة جديدة تضم عناصر أفغانية مهاجرة (غير شيوعية) .

---

(١) جريدة المسلمون فى ٩ أغسطس عام ١٩٨٦

(٢) مجلة المجتمع الكويتية فى ٣١ مارس عام ١٩٨٧

(٣) جريدة المسلمون فى ٢١ فبراير عام ١٩٨٧

- الإعلان السوفييتى المستمر عن سحب بعض الوحدات من جبهة القتال فى أفغانستان والإعلان المستمر للاستعداد للتفاهم بشأن مستقبل الحرب وعمل جدول زمنى للانسحاب يواكب الحل السياسى للقضية الأفغانية .

- اللقاءات السرية بين وزراء خارجية باكستان وأفغانستان والاتحاد السوفييتى فى محاولة لوضع إطار لحل سياسى للقضية الأفغانية .

* ومع بداية عام ١٩٨٨ بدأت الأمم المتحدة فى إجراء محادثات غير مباشرة من أجل وضع حل سلمى للمشكلة الأفغانية فى نفس الوقت الذى أعلن فيه مسئولون سوفييت كبار : « أن قرار التدخل فى أفغانستان الذى اتخذ فى عهد الرئيس السابق « ليونيد بريچينيف » عام ١٩٧٩ كان قراراً خاطئاً » [١] ، وقد رد يونس خالص زعيم التحالف الإسلامى للمجاهدين الأفغان ورئيس حزب أفغانستان الإسلامى على جهود السلام المعلن عنها بالرفض القاطع من قِبَل المقاومة الأفغانية التى لا تقبل بديلاً عن الانسحاب السوفييتى غير المشروط واستلام السلطة من الحكومة العميلة وإقامة دولة مسلمة فى أفغانستان [٢] .

* وفى شهر فبراير عام ١٩٨٨ أذاعت وكالة تاس السوفييتية بياناً للسكرتير العام للحزب الشيوعى السوفييتى « ميخائيل جورباتشوف » قال فيه : « إن حكومتى الاتحاد السوفييتى وأفغانستان اتفقتا على تحديد الخامس عشر من مايو القادم موعداً لبدء إنسحاب القوات السوفييتية على أن تنتهى عملية الإنسحاب خلال عشرة شهور » .

* وبعد محادثات فى چنيف اشتركت فيها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى وباكستان والنظام الحاكم فى كابول بدأ الانسحاب السوفييتى من أفغانستان مع استمرار بقاء نظام حكم نجيب الله ، وقد ردت

---

(١) مجلة البلاغ فى ١٧ يناير عام ١٩٨٨

(٢) جريدة المسلمون فى ١٨ يناير عام ١٩٨٨

قوات المقاومة على ذلك بتشكيل حكومة مؤقتة فى بيشاور ، وهكذا استمر الانسحاب السوڤييتى من أفغانستان حتى خرج آخر جندى سوڤييتى من هناك فى ١٥ فبراير عام ١٩٨٩

٤ - ومن استعراضنا السابق لأبرز أحداث المرحلة الثانية من مراحل الجهاد الأفغانى يتضح لنا أن المقاومة الأفغانية قد نجحت فى تحقيق هدف استراتيجى هام من أهدافها المحددة والذى يتمثل فى إخراج المستعمر السوڤييتى من أفغانستان المسلمة .

* *

رابعاً - المرحلة الثالثة :

١ - تبدأ هذه المرحلة بعد خروج آخر جندى سوڤييتى من أفغانستان فى ١٥ فبراير عام ١٩٨٩ وحتى دخول المجاهدون الأفغان كابول فى ٢٥ إبريل عام ١٩٩٢

٢ - فى هذه المرحلة تقلصت الأهداف الاستراتيجية للمقاومة الأفغانية بعد النجاح الذى تحقق من خلال المرحلة الثانية وأصبح الهدف الرئيسى أمام قوات المقاومة هو إسقاط نظام نجيب الله العميل وإقامة الدولة الأفغانية المسلمة .

٣ - ومن أبرز أحداث هذه المرحلة الآتى بعد :

* اتسمت الفترة التى تلت الانسحاب السوڤييتى ببعض الهدوء النسبى ترقباً لما ستسفر عنه الأحداث بعد إنسحاب السوڤييت ، فمن ناحية المقاومة الأفغانية تم تركيز الجهود نحو الحصول على إعتراف دول العالم بالحكومة المؤقتة للمجاهدين . فى نفس الوقت الذى بدأ فيه النظام الحاكم فى كابول فى بذل الكثير من الجهد لسد النقص الذى حدث بعد الانسحاب السوڤييتى ، ومع بداية الربع الأخير لعام ١٩٨٩ تصاعدت أعمال القتال لقوات المقاومة ونجح المجاهدون الأفغان فى حصار كابول والقيام بقصفها ، وساعد على ذلك نجاح الهجوم الذى

قاده أحمد شاه مسعود ونجح من خلاله فى إغلاق طريق « سالانج / جبل السراج » تماماً وقد شمل الهجوم أيضاً تشاريكار عاصمة بروان وقاعدة بجرام الجوية وقلعة صرخ ومديرية جبل السراج .

* وفى يوم الجمعة ٢٤ نوفمبر عام ١٩٨٩ نجح عملاء المخابرات الأفغانية فى تفجير سيارة كان يستقلها الدكتور عبد الله عزام وهو واحد من أبرز قادة المقاومة الأفغانية حيث انضم إليهم بعد الغزو السوفييتى لأفغانستان ولعب دوراً كبيراً فى مجالات الإعلام والاقتصاد لصالح قوات المقاومة ، كما كان محور التوفيق الدائم بين الأحزاب والجماعات التى تشكل المقاومة الأفغانية . ولم يكن استشهاد عبد الله عزام إلا رسالة موجهة إلى باقى قادة المقاومة الأفغانية بأن المخابرات الأفغانية قد وضعتهم نصب أعينها كأهداف هامة يجب التخلص منهم .

* ومع بداية عام ١٩٩٠ بدأت قوات المقاومة الأفغانية تشدد من عملياتها القتالية ضد قوات النظام الحاكم فى كابول حيث شهد شهر يناير معارك عنيفة حول جلال آباد ، إضافة إلى معارك أخرى فى ولاية لوجر وبلخ وقندهار ، فى نفس الوقت الذى بدأت فيه تحركات أمريكية للوصول إلى حل سلمى للصراع الدائر فى أفغانستان حيث قام « روبرت كيميث » وكيل وزارة الخارجية الأمريكية بزيارة إلى كل من السعودية وباكستان ، وقد علق أحد المسئولين الأمريكيين على هذه الزيارة بقوله : « السياسة يجب دائماً أن تعكس الظروف المتغيرة » ، وكان معنى هذا التعليق أن حركة المقاومة الأفغانية قد أصبحت قريبة جداً من تحقيق أهدافها النهائية ، وأن التحركات الأمريكية لا تمثل أكثر من فرملة لعرقلة وصول المسلمون الأصوليون (كما يطلق على المقاومة الأفغانية فى بعض الصحف والوكالات الغربية) إلى حكم أفغانستان خصوصاً وأن الولايات المتحدة قد وافقت خلال المحادثات التى تمت فى جنيف عام ١٩٨٨ على استمرار بقاء نظام نجيب الله فى أفغانستان .

* وفى شهر مارس عام ١٩٩٠ قام وزير الدفاع الأفغانى شاه نواز تاناه بمحاولة إنقلابية فاشلة ضد نجيب الله ، وقد كشفت هذه المحاولة عن عمق الصراع

بين جناحى الحزب الحاكم فى كابول ، وأن نظام نجيب الله يتعرض لأخطار كثيرة من أنصاره مثلما يتعرض لخطر الإحاطة به من قوات المقاومة الأفغانية .

* وفى شهر إبريل عام ١٩٩٠ نجح المجاهدون الأفغان فى توجيه ضربة قاصمة لنظام حكم نجيب الله حيث نجحت قوات المقاومة فى تنفيذ عملية جريئة فى منطقة بشتون زرعون التى تبتعد ثلاثين كيلو متراً إلى الشرق من هراة وذلك خلال حفل كبير كان يتواجد به الكثير من أعمدة نظام الحكم فى كابول وحيث توفى على أثر هذه العملية خمسة من كبار الجنرالات وما يقرب من ثلاثين من كبار المسئولين وكان من ضمن المتوفين الجنرال فضل الحق خلق يار حاكم هراة والجنرال رازه منده نائب وزير الأمن والشخصية الثانية فى جهاز المخابرات الأفغانية والمسئول عن أمن مدينة كابول .

* وفى شهر اكتوبر ١٩٩٠ استطاع المجاهدون الأفغان أن يحققوا نصراً كبيراً وذلك عندما نجحوا فى الاستيلاء على مدينة ترين كوت عاصمة أورزخان فى منطقة وسط جنوب أفغانستان شمال قندهار وحيث انضم معظم أعضاء السلطة المحلية فى الولاية إلي المجاهدين ، كما استسلم حاكم الولاية لهم .

* ومع نهاية عام ١٩٩٠ أصبحت العمليات القتالية التى تنفذها المقاومة الأفغانية تتسبب فى خسائر كبيرة لنظام حكم كابول خصوصاً مع استمرار حصار كابول ، فى نفس الوقت الذى اتفقت فيه كُلاً من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى (سابقاً) على ترك حسم القضية الأفغانية للأفغان أنفسهم وذلك بعد فشل جميع المحاولات التى بذلت لإنهاء المشكلة بطريقة سلمية وإصرار قادة المقاومة الأفغانية على تحقيق كافة أهدافهم المعلنة .

* ومع بداية عام ١٩٩١ نجح المجاهدون الأفغان فى الاستيلاء على أجزاء كبيرة من مدينة خوست ، وأعلن راديو كابول أن وزير الخارجية الأفغانى عبد الوكيل أرسل شكوى إلى الأمين العام للأمم المتحدة « خافيير بيريز ديكويار » ضد باكستان لاشتراك قواتها فى الهجوم على المدينة ، كما تم تسليم احتجاج شديد اللهجة إلى القائم بالأعمال الباكستانى فى كابول .

* وفى شهر مارس عام ١٩٩١ رفض المجاهدون الأفغان عرضاً من حكومة كابول بوقف إطلاق النار خلال شهر رمضان واستطاعوا خلال أيام قليلة من الاستيلاء على مواقع حكومية قريبة من مدينة خوست وهو الأمر الذى استدعى على أثره القائم بالأعمال الباكستانى للمرة الثانية إلى وزارة الخارجية الأفغانية ليتسلم احتجاجاً رسمياً شديد اللهجة على تورط باكستان المزعوم فى القتال ، فى نفس الوقت الذى سقطت فيه خوست فى أيدى الثوار الأفغان .

* وفى منتصف عام ١٩٩١ بدأ المجاهدون الأفغان فى الاستعداد لإسقاط نظام كابول برئاسة نجيب الله ، وقد صاحب هذا الاستعداد مطالبات من الدول الكبرى بضرورة تخلى نجيب الله عن حكم أفغانستان ، وحيث أعلن « بيتر تومسون » المبعوث الأمريكى لدى حكومة المجاهدين فى تصريح له [١] : « إن الحل للقضية الأفغانية يتمثل فى أن يترك نجيب الله السلطة وأن يشكل الأفغان الحكومة التى يختارونها فى أفغانستان » ، وكانت مطالب الدول الكبرى بترك الأفغان يضعوا حلاً لقضيتهم تعبيراً دقيقاً عما أصبح عليه الموقف العسكرى خصوصاً بعد قيام أحمد شاه مسعود بتطهير المنطقة الشمالية للبلاد من جيوب قوات النظام الحاكم وتضييق الخناق على المدن الرئيسية استعداداً للقيام بالاستيلاء عليها .

* وفى سبتمبر عام ١٩٩١ توجه وفد من المملكة العربية السعودية برئاسة الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إلى بيشاور حيث اجتمع هذا الوفد بقادة منظمات وأحزاب المقاومة الأفغانية بهدف تقريب وجهات النظر بشأن الخطوات المستقبلية ، بينما كان النظام الحاكم فى كابول يعلن عن ترحيبه بقرار الدول الكبرى الخاص بوقف إمدادات الأسلحة إلى أفغانستان .

* وفى شهر اكتوبر عام ١٩٩١ ذكرت وكالة أنباء « بختار » الأفغانية أن

---

(١) وكالة الأنباء الأفغانية فى ٥ يونيو عام ١٩٩١

مجلس الشيوخ الأفغانى طلب من الرئيس نجيب الله الإفراج عن المجاهدين المعتقلين مع إجراء مفاوضات سلام غير مشروطة مع قادة المقاومة الذين يتخذون من إيران وباكستان مقراً لهم ، فى نفس الوقت الذى اقترح فيه نجيب الله تنظيم انتخابات محلية يُتاح لأحزاب المقاومة المشاركة فيها وتكون بمثابة التهيئة للانتخابات التشريعية التى نصت عليها خطة السلام التى وضعتها الأمم المتحدة .

* ومع نهاية عام ١٩٩١ عاودت المملكة العربية السعودية الوساطة بين الأحزاب والمنظمات الأفغانية مرة أخرى فى محاولة لتوحيد أساليب العمل ووجهات النظر ، فى نفس الوقت كثفت المقاومة الأفغانية من عمليات القتال ضد مراكز ومواقع النظام الحاكم فى كابول ، إضافة إلى ذلك ترأس برهان الدين ربانى أحد قادة المقاومة الأفغانية ووزير التعمير والخارجية بالنيابة فى الحكومة المؤقتة الأفغانية وفداً إلى موسكو للتفاوض حول القضية الأفغانية ، وأعلن بعد عودته من هناك أن إتفاق المجاهدين مع الاتحاد السوفييتى يختصر الطريق لتسوية القضية الأفغانية ، ثم عقدت جولة مفاوضات أخرى فى إسلام آباد مع وفد من روسيا بعد تفكك الاتحاد السوفييتى وذلك فى الأيام الأخيرة من عام ١٩٩١

* ومع بداية عام ١٩٩٢ رفض المجاهدون الأفغان خطة سلام للأمم المتحدة تستهدف الاشتراك فى مفاوضات يتم الإعداد لها فى جنيف أو أنقرة بسبب اشتراك نظام الحكم القائم فى كابول فى هذه المفاوضات ، وقد أدى هذا الرفض إلى وجود خلاف بين باكستان والمقاومة الأفغانية حيث كانت باكستان تؤيد خطة الأمم المتحدة لإحلال السلام فى أفغانستان بصورة كاملة ، وفى وسط هذا التحرك السياسى تفاجىء المقاومة الأفغانية العالم فى نهاية شهر مارس عام ١٩٩٢ بالسيطرة على مدينة مزار شريف كبرى مدن الشمال الأفغانى فى الوقت الذى أعلن فيه نجيب الله استعداده لنقل السلطة إلى حكومة انتقالية فى إطار خطة الأمم المتحدة للسلام فى أفغانستان .

* ومع بداية شهر إبريل عام ١٩٩٢ شهدت كابول سلسلة من الانفجارات

خلال اجتماع كان يضم نجيب الله ومبعوث الأمم المتحدة الخاص بالقضية الأفغانية « بينون سيفان » ، وأصبح من الواضح أمام العالم أن المقاومة الأفغانية قد وصلت إلى مواقع النظام الحاكم فى كابول ، وأن الملحمة القتالية التى بدأتها المقاومة الأفغانية قد آن لها أن تشهد مسك الختام . وبدأت نهاية الملحمة فى منتصف شهر إبريل عندما بدأت قوات المقاومة فى مواصلة تقدمها صوب العاصمة فى نفس الوقت الذى كان فيه مجلس عسكرى من جنرالات الجيش الأفغانى يستولى على السلطة بعد إقصاء نجيب الله الذى حاول الهرب إلى الهند إلا أن بعض الضباط منعوه من ذلك فلجأ إلى مكتب للأمم المتحدة فى كابول .

* وفى ٢٥ إبريل تقدمت قوات المقاومة الأفغانية صوب العاصمة كابول حيث تم الدخول دون أى مقاومة تذكر بعد أن أعلنت قوات الجيش الأفغانى والمليشيات الحكومية استسلامها وانضمامها إلى قوات المقاومة .

٤ - وبدخول قوات المقاومة الأفغانية إلى كابول تكون هذه القوات قد نجحت فى تحقيق هدفها الاستراتيجى الثانى وهو إسقاط نظام الحكم العميل فى كابول حيث قامت الحكومة المؤقتة باستخدام السلطة استعداداً لتطبيق الشريعة الإسلامية بعد أن خرجت الشيوعية إلى غير رجعة من أفغانستان وهى تحمل معها النعش الذى شُيِّعت فيه إلى مثواها الأخير .

* * *

الفصل العاشر

الجهاد الأكبر

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾

« صدق الله العظيم »

* * *

(١) الأنفال : ٧٢



الجهاد الأكبر

أولاً - عام :

بعد نجاح المجاهدون الأفغان فى طرد المحتل السوفييتى من أفغانستان ثم إسقاط نظام الحكم العميل فى كابول ، لم يبق من الأهداف الاستراتيچية غير الهدف النهائى الخاص بإقامة الدولة الأفغانية المسلمة ، ومما لا شك فيه أن العالم الإسلامى قد انزعج كثيراً من الأنباء التى وردت من كابول بعد دخول المجاهدون إليها وتحدثت عن الاشتباكات الدائرة بين أنصار غولب الدين حكمتيار وأنصار أحمد شاه مسعود وكلاهما من أبرز القادة الميدانيين ولعبا دوراً عظيماً أثناء قتال القوات السوفييتية والقوات الحكومية .

إن تحليل الأمور التى تحدث فى كابول ووضع التصورات المستقبلية تتطلب من أى محلل مهما كانت براعته أن يلم بالجغرافية والتاريخ للدولة الأفغانية ، وهذا ما تعمدتُ أن أتعرض إليه فى إيجاز شديد من خلال الفصول الأولى للكتاب وعلى أساس أن الإلمام بالملامح الجغرافية والتاريخية للدولة الأفغانية سوف يساعد كثيراً فى إزالة الانزعاج الذى شعر به كل مسلم نتيجة لما يحدث هناك . وعلى الرغم من أن الأحداث الأخيرة كانت متوقعة من قِبَل الكثير من المحللين خصوصاً مع تواجد مجموعة من العوامل السلبية التى ساعدت على بروز هذا الخلاف ، إلا أن طبيعة الشعب الأفغانى قادرة بإذن الله على تخطى جميع المشاكل والصعاب التى تعترض تحقيق آخر الأهداف الاستراتيچية ، وقبل أن نتناول العوامل والمطالب التى سوف يقوم عليها الجهاد الأكبر الأفغانى لتحقيق الهدف النهائى من المهم هنا أن نستعرض مجموعة من النقاط والتى أدعو المولى عزّ وجلّ وأنا اكتبها أن تساعد على إزالة الانزعاج والتوتر الذى

يشعر به كل مسلم غيور على دينه نتيجة ما يحدث فى كابول . وهذه النقاط هى كالآتى :

١ – إن دروس التاريخ واضحه تماماً أمامنا خصوصاً فيما يتعلق بالحركات المشابهة لحركة الجهاد الإسلامى ، فجميع الحركات الثورية أو منظمات المقاومة تقلص دور العديد منها سواء بالقوة أو اللاقوة بعد تحقيق هدف العمليات الحربية، وبالتالى لم يعد لقادة هذه الحركات أو المنظمات دور يلعبونه بعد ذلك غير التصادم والخلاف ..... ومن هنا ترسخت الحكمة التاريخية : « إن الثورة تأكل أبنائها » .

٢ – وإذا كانت دروس التاريخ تنطبق على دول وشعوب ذات جغرافية تخصصية معتدلة ومتزنة فكيف لا تنطبق هذه الدروس على شعب هو ضحية بالدرجة الأولى للجغرافية السياسية والجغرافية البَشرية والجغرافية الطبيعية كما سبق الإيضاح فى الفصل الأول من الكتاب .

٣ – وإذا كان حل المنازعات يتم من خلال استخدام أدوات كثيرة مثل الأداة السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية ، فإن حركة المقاومة الأفغانية لا تمتلك أساساً إلا الأداة العسكرية وهى فى ذلك معذورة تماماً فجميع الجهود السياسية التى بُذلت لحل المشكلة الأفغانية سواء عن طريق الأمم المتحدة أو الدول الكبرى كانت تستبعد قادة المقاومة الأفغانية من المشاركة في المباحثات أو المفاوضات السياسية وبالتالى افتقد هولاء القادة إلى خبرة التفاوض السياسى وبالتالى أسلوب الحل السياسى .

٤ – وكان من الطبيعى بعد دخول المجاهدون الأفغان إلى كابول أن يظهر على السطح شخصيات قيادية جديدة غير التى كانت معروفة من قبل ، خصوصاً وأن هذه الشخصيات هى التى لعبت الدور الرئيسى فى قيادة العمليات الحربية داخل المسرح الأفغانى ، ومن هنا نجد أن بروز القيادات الميدانية مثل أحمد شاه مسعود وغولب الدين حكمتيار هو أمر طبيعى خصوصاً وأنهما تحملا ونفّذا

الجزء الصعب والعسير من الجهاد الأفغاني ، وكان من الطبيعى أن يصاحب هذا البروز استقطابات عديدة محلية ودولية ترتب عليها ظهور الخلاف بين قادة المقاومة الأفغانية .

٥ - إننا كمسلمين يجب أن نفرّق تماماً بين النجاح الرائع الذى حققه المجاهدون الأفغان وبين الأسلوب الذى اتبعوه لحل الخلاف بينهم ، إن البعض منا ينظر إلى المجاهدين الأفغان من خلال روعة وعظمة ما حققوه على أنهم ملائكة وليس بَشر ، والبَشر مهما كان معرَّض للصواب والخطأ ، والخلاف بينهم وارد وحل الخلاف بأساليب غير متوقعة وارد أيضاً ، وإن كنا نأمل أن يتفق الجميع فى القريب العاجل على أساليب حل تقوم على مبادىء الدين الحنيف الذى وحَّد بينهم وجمعهم خلال فترة قتالهم ضد المستعمر السوفييتى ونظام الحكم العميل فى كابول .

* *

ثانياً - مطالب الجهاد الأكبر للمجاهدين الأفغان :

مما لا شك فيه أن المرحلة القادمة تمثل للشعب الأفغانى أهمية خاصة تتمثل فى تتويج الأهداف الاستراتيجية التى تم تحقيقها بالهدف النهائى المتمثل فى إقامة دولة إسلامية ، وإذا اعتبرنا أن ما تم من قبل هو الجهاد الأصغر فإن الفترة القادمة تمثل الجهاد الأكبر للشعب الأفغانى العظيم ، وهذا الجهاد يتطلب العمل فى عدة اتجاهات على النحو الآتى :

١ - الاتجاه الأول : وهو اتجاه سياسى يهدف إلى إزالة الخلاف القائم بين القيادات الأفغانية ومحاولة التوفيق بينهم وذلك من خلال :

* قيام الهيئات الإسلامية وكبار العلماء ببذل الجهد المستمر والدؤوب لجمع شمل القادة الأفغان ، ويجب أن تكون هذه الجهود كثيفة وبصورة تتناسب طردياً مع حجم الخلاف الموجود بينهم - وهو عميق للأسف الشديد - مع عدم التوقف لحين الوصول إلى حد أدنى من الاتفاق الذى يسمح بالتحول إلى العمل الإيجابى لصالح بناء الدولة الإسلامية فى أفغانستان .

* مطالبة الدول المحيطة بأفغانستان - وأغلبها دول إسلامية - برفع يدها تماماً عن أفغانستان وعدم التدخل فى شئونها الداخلية أو استقطاب فئات وقبائل معينة بهدف التأثير مستقبلاً على سياسة الدولة الأفغانية .

٢ - الاتجاه الثانى : وهو اتجاه اقتصادى يهدف إلى توفير مطالب الحياة اليومية للشعب الأفغانى المسلم والذى خرج من معركته الشرسة ضد الشيوعية العالمية وهو فى وضع اقتصادى يعتبر من أسوأ الأوضاع الاقتصادية فى عالم اليوم ، ويقع عبء هذا الاتجاه على الدول الإسلامية ذات الفوائض المالية مع ضرورة مراعاة عامل الوقت خصوصاً إذا علمنا وتصورنا شكل الوضع الاقتصادى من خلال البيانات الآتية :

● بالنسبة للموارد الاقتصادية :

* تم تدمير من ٧٠ إلى ٧٥ ٪ من الأراضى الصالحة للزراعة .

* تم إبادة من ٧٥ إلى ٨٠٪ من الثروة الحيوانية التى كانت موجودة فى البلاد .

* مساحات كبيرة من الأراضى غير صالحة للعمل أو التحرك نتيجة الألغام المزروعة فيها والتى يصل تعدادها إلى نحو ٥ إلى ٧ مليون لغم [(١)] .

● بالنسبة للحالة الصحية :

أدّى سوء التغذية وعدم توفر المياه النقية وأيضاً عدم توفر الخدمات الصحية إلى :

* ارتفاع معدل الوفيات بين الأطفال إلى ٢٧٪

* انخفاض نسبة الأطفال المحصنين إلى أقل من ٥٪

* متوسط العمر بين أفراد الشعب الأفغانى يصل إلى ٣٥ عاماً .

* بالإضافة للحالة الاقتصادية والصحية نجد أن الدولة الأفغانية قد أصبحت

---

(١) ألغام رصت بالطريقة الآلية وبالتالى غير مسجلة ولا يُعرف مكانها بدقة .

تفتقر للكوادر والكفاءات الإدارية والفنية خصوصاً بعد استشهاد نسبة كبيرة منهم أثناء القتال وهجرة جزء كبير إلى خارج البلاد .

٣ - الاتجاه الثالث : وهو الاتجاه الاجتماعى الذى يهدف إلى إيجاد حل لمشكلة نحو ٥ ملايين لاجىء أفغانى داخل الأراضى الباكستانية والأراضى الإيرانية ، وهذا الاتجاه يتطلب العمل من خلال :

* شق اقتصادى لتغطية نفقات عودة هؤلاء اللاجئين وإيجاد مأوى وعمل لهم .

* شق اجتماعى للتغلب على المشكلات السيكولوچيه والعقلية والاجتماعية التى تولدت عن طول فترة الهجرة وسط ظروف معيشية متدنية بل ولا تتفق مع أبسط المظاهر الإنسانية .

٤ - الاتجاه الرابع : وهو اتجاه تنظيمى يهدف إلى وضع ملامح وشكل الدولة الإسلامية ، ويعتبر هذا الاتجاه من أعقد الاتجاهات التى سوف تقابل الشعب الأفغانى خصوصاً وأن الكثير من مطالب هذا الاتجاه لم يتم الاتفاق عليها بعد بل ويمكن القول أن الخلافات فى هذا الاتجاه تمثل الجزء الأكبر من مشاكل الاتجاه السياسى الذى أشرنا إليه ، ولعل الاستفادة من الدراسات والبحوث الإسلامية فى هذا الشأن تمثل أهمية خاصة إذا تم الاستعانة بها ، إضافة إلى الاجتهاد المستنير القائم على ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى .

وأخيراً .. فإننا يمكننا القول أن الجهاد الأفغانى قد انتقل من مرحلة الجهاد الأصغر إلى مرحلة الجهاد الأكبر ، ورغم كل الخلافات القائمة حالياً بين القيادات الأفغانية فإن ثقتى لا حدود لها فى أن الشعب الأفغانى البطل قادر بإذن الله على بناء دولته الإسلامية ، بل ويصل تفاؤلى إلى ما هو أكثر من ذلك حيث أرى أن الصحوة الإسلامية الحقيقية سوف تنطلق من هذه الأرض الطاهرة التى ارتوت بدماء الملايين من الشهداء والجرحى : ﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ، إِنَّكَ أَنتَ الوَهَّابُ ﴾ [1] .. صدق الله العظيم .

* * *

---

(١) آل عمران : ٨

أهم المراجع

١ - دائرة المعارف الاسلامية .

٢ - موسوعة السلاح .

٣ - مستقبل كابول : أحمد منصور .

٤ - أفغانستان : محمود شاكر .

٥ - تقرير من أفغانستان : چيرار شاليان .

*   *   *

محتويات الكتاب

	الصفحة
الإهداء	٣
شكر	٥
المقدمة	٧
الفصل الأول : جغرافية أفغانستان	٩
أولاً : عام	١١
ثانياً : الدراسة الجغرافية	١١
ثالثاً : التأثير الجغرافى على العمل العسكرى	١٩
رابعاً : خصائص الشعب الأفغانى	٢٢
الفصل الثانى : أفغانستان المسلمه	٢٥
الفصل الثالث : أفغانستان والشيوعية	٣٣
الفصل الرابع : أفغانستان فى الاستراتيجية السوفيتية	٤١
الفصل الخامس : جذور الصراع	٤٩
الفصل السادس : ميزان القوى	٥٧
القوات البرية	٥٩
القوات الجوية	٦٠
القوات البحرية	٦٠
قوات الدفاع الجوى	٦٠
القوات النظامية	٦٢
مصادر القوى البشرية للمجاهدين الأفغان	٦٣
مصادر الأسلحة والمعدات للمجاهدين الأفغان	٦٤
نقاط القوة ، ونقاط الضعف	٦٦

الصفحة

الفصل السابع : المستنقع الأفغانى ٧١
أولاً : عام ٧٣
ثانياً : مبررات الغزو السوڤييتى ٧٤
ثالثاً : التدخل السوڤييتى فى أفغانستان ٧٦
حجم القوات السوڤييتية ٧٧
أوضاع القوات ٧٧
الفصل الثامن : أساليب القتال ٧٩
أولاً : عام ٨١
ثانياً : أساليب القتال للمجاهدين الأفغان ٨١
الفصل التاسع : الجهاد الأصغر ٨٧
طريق الألف ميل ٨٩
أولاً : عام ٨٩
ثانياً : المرحلة الأولى ٩١
ثالثاً : المرحلة الثانية ٩٣
رابعاً : المرحلة الثالثة ١٠٦
الفصل العاشر : الجهاد الأكبر ١١٣
أولاً : عام ١١٥
ثانياً : مطالب الجهاد الأكبر للمجاهدين الأفغان ١١٧
أهم المراجع ١٢٠
محتويات الكتاب ١٢١

* * *

فهرس الخرائط

الصفحة

شكل رقم (١) : موقع أفغانستان ١٢
شكل رقم (٢) : جغرافيا أفغانستان ١٧
شكل رقم (٣) : التقسيم الإدارى لأفغانستان ١٨
شكل رقم (٤) : اتجاه دخول الإسلام لأفغانستان ٢٩
شكل رقم (٥) : أوضاع القوات السوفييتية فى أفغانستان .. ٧٨
شكل رقم (٦) : طرق إمداد القوات السوفييتية ٧٨

* * *

كتب للمؤلف

١ - العسكرية الإسلامية فى عهد الرسول ﷺ .
٢ - الحرب (المبادئ والأدوات) .
٣ - الحرب غير التقليدية .
٤ - عاصفة الصحراء (دراسة عسكرية) .

* * *

رقم الإيداع : ٧٩٤٢ / ٩٢
I.S.B.N : 977 - 00 - 3945 - 4